

شرطي المكتبة

تأليف: ستيفن كينج
ترجمة وإعداد:
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يذخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

(ستيفن كينج Stephen King)

من جديد ! هل ما زلنا بحاجة إلى معرفة ستيفن كنج بعد ما قدمناه فى هذه السلسلة ثلاث مرات ؟ يشعر بعض قراء هذه السلسلة بالذات أنه صار فردًا من الأسرة ، والحقيقة هى أن هذا الكاتب هو عميد كتاب الرعب المعاصرين وأهمهم ، وقد صار اسمه ماركة مسجلة تكفى رؤيتها كى تبتاع الكتاب أو تشاهد الفيلم . وإن كان لم يُقدَّم فى السينما بشكل موفق حتى اليوم ، مما جعله يجرب كتابة السيناريو بنفسه ، بل ويظهر فى بعض الأفلام ويخرج بعضها .

ولد فى (بورتلاند) بولاية (مين) الأمريكية عام ١٩٤٧ .. معنى هذا أنه يقترب من الستين اليوم ، وفى

سن السابعة كتب أولى قصصه وعشق أفلام رعب الخمسينيات ككل مراهق أمريكى فى الواقع . سينما مسوخ الخمسينيات تركت أثرها لدى كل من احترف مهنة الرعب هناك .

عمل مدرسًا للغة الإنجليزية وراح يجرب كتابة قصص مرعبة ، كان يتخلص منها فى القمامة غالبًا ، وكاد يتخلص من قصة اسمها (كارى) لولا أن استنقذتها زوجته من صندوق القمامة وأرسلتها إلى إحدى دور النشر ، فكانت المفاجأة أنها قبلت ، ونال عن نشرها ٢٥٠٠ دولار .. هكذا قرر أن يتفرغ للأدب .. وفى عام ١٩٧٦ يقرر (برايان دى بالما) المخرج العظيم تقديمها فى فيلم ، ومن ذلك الحين تربع اسم (كينج) على عرش الرعب ولم يبرحه قط .. ولعله أكثر الأدباء شهرة وثراء فى عالمنا اليوم ..

أصدر (كينج) العديد والعديد من القصص والدراسات حتى إن ملاحقة عناوينه مستحيلة فعلاً ، وعالمه يزداد تعقيدًا حتى إننى صرت أجد عسرًا فى فهم أعماله الأخيرة (الساحر والزجاج على سبيل المثال) .. لقد أصدر مجموعات قصصية تحت اسم مستعار

هو (باكمان) ، منها (المسيرة الطويلة) و(أرفع) و(المنظمون) و(الهارب) و(أشغال طريق) .. ويقال إن سبب هذا هو خشية الناشر من ألا يستوعب السوق كل إبداعات هذا الشلال المتدفق .

عالم (كينج) مميز جدًا .. فهو يهوى حياة الأسر المتوسطة فى البلدان الصغيرة خارج المدن .. من النادر أن تقرأ له قصة تدور فى مدينة كبرى .. غالبًا مسرح الأحداث هو ولاية (مين) مسقط رأسه .. هناك بلدة هادئة يحل بها الشر الذى هو انعكاس لنفوس سكانها .. ووحوش كنج متنوعة ثرية يصعب أن تلم بها جميعًا .. إنه من الذين احتفظوا بخطوط اتصال مفتوحة مع مخاوف طفولتهم ، وهو يستعيدها بسهولة تامة .

من الأشياء المهمة كذلك لدى (كينج) عمق ثقافته وولعه بتشريح الشخصيات ولهذا نعتبره أديبًا عالى المستوى قرر أن يحترف هذا الفن بالذات ، وبهذا أضاف رقيًا واضحًا لأدب الرعب ، وقد قدم عدة دراسات تحلل الخلفية السيكولوجية لأدب الرعب منها (عن الكتابة) وهو مقال طويل جدًا عن تقنيات الكتابة للرعب . قليلون هم كتاب الرعب الذين حاولوا أن

يشرحوا أساليبهم ويفهموها .. لعل أهمهم (لافكرافت Lovecraft) العظيم ، الذى أفادنى كثيرًا مقاله عن (الرعب الخوارقى فى الأدب) والذى قد أترجمه يومًا ما فى هذه السلسلة .

القصة الحالية هى من مجموعة (كينج) (الرابعة بعد منتصف الليل) ، وهى من المجموعات الناجحة جدًا .. مشكلة (كينج) أنه بوسعك أن تترجم عنوانًا مشهورًا له، مثل (تألق) أو (كريستين) أو (كارى) أو (هو) أو (صائد الأحلام) لكنك تصطدم بأن الناس تحفظ الفيلم الذى قدم عن الرواية جيدًا ؛ لهذا اخترت هذه القصة التى أعتقد أن شهرتها محدودة وإن كان ناقدوها يرونها جيدة جدًا ، وأنا أشاركهم هذا الرأى بالتأكيد .. قمت فى الربع الأخير من القصة ببعض الحذف الضرورى الذى لم يتلف جودة القصة أو هذا ما آمله .. إنه الخيار القاسى المعتاد : اترك القصة كما كتبها (كينج) لكن لا تترجمها كذلك ، حتى لا تتحمل مسئولية كهذه .. أو احذف منها بحكمة وقدمها لقارئ العربية الذى من الخسارة ألا يقرأها .. أنا أختار دومًا الحل الثانى ، فما رأيك أنت ؟

د. أحمد خالد توفيق

تمهيد من (ستيفن كينج) :

فى الصباح الذى بدأت فيه هذه القصة ، كنت أجلس إلى مائدة الإفطار مع ابنى (أوين) . لقد صعدت زوجتى للطابق العلوى كى تستحم وتلبس ثيابها ، وتم إعداد حاجيات الساعة السابعة الحيوية من بيض مقلى والجريدة . كان (ويلارد سكوت) الذى يزورنى خمس مرات فى كل أسبوع يحكى لى عن عجوز من (نبراسكا) بلغت العام الرابع بعد المائة . مجرد صباح آخر عند (كينج) ..

سألنى (أوين) إن كنت سأذهب إلى المركز التجارى اليوم ، لأن هناك كتابًا يريد أن أحضره له لتقرير مدرسى .. لا أذكر الكتاب الآن لكنه من طراز تلك الكتب التى لا تجدها فى المتجر أبدًا .. إنه دائمًا لم يعد يطبع أو سيعاد طبعه أو أى شىء لعين آخر ..

نصحته أن يجرب المكتبة المحلية ، فهى جيدة .. كنت واثقًا من أنه لديهم .. قال لى كلمتين لكنهما كانتا كافيتين لاجتذاب انتباهى .. قال لى :

- « شرطة المكتبة »

أزحت الجريدة جانبًا وضغطت على زر إسكات الصوت فى جهاز التليفزيون . وطلبت من (أوين) أن يتفضل بتكرار ما قال . قال بعد تردد إنه لا يريد الذهاب للمكتبة لأنه يخاف شرطة المكتبة ..

قلت له إنه لايوجد شىء اسمه شرطة المكتبة .. كانت قصة من تلك القصص التى تتوارى فى لاوعيك .. لقد سمعها من عمته عندما كان فى السابعة وسهل الخداع ، ويبدو أنها لم تفارقه من حينها ؟!

كنت أذكر قصة مماثلة من طفولتى عن الرجال الأقوياء الذين يأتون لبيتك لو لم ترجع الكتب المستعارة فى وقتها .. هذا سيئ .. لكن ماذا لو لم تجد الكتب المستعارة عندما يحيط بك هؤلاء ؟ ماذا سيفعلون بك ؟ كيف سيعوضون الكتب المفقودة ؟!

هكذا وجدت نفسى أفكر فى شرطة المكتبة فى الأيام التالية ، وهكذا ولدت القصة التى ستطالعها الآن .. هكذا تبدأ القصص معى .. لقد سميت القصة (شرطى المكتبة) ، لكن لم تكن عندى أدنى فكرة عن مسار القصة . فى البداية خطر لى أن تكون قصة مضحكة .. الفكرة ذاتها مضحكة .. ألا ترى هذا ؟

هنا لاحظت شيئًا كنت أعرفه منذ زمن ، هو أن الكتابة نوع من التنويم المغناطيسى الذاتى .. من ثم تنبعث مخاوف الطفولة التى كنت تحسب أنك نسيتها .. وتعود مفزعة كما كانت ..

كنت أحب المكتبة فى طفولتى .. لم لا ؟ إنها المكان الوحيد الذى يستطيع فيه صبى فقير مثلى أن يقرأ ما يريد من كتب ، لكنى إذ كبرت أدركت أننى كذلك كنت أهابها .. كنت أهاب أن أضل طريقى بين أكوام الكتب .. أهاب أن أنسى فى ركن مظلم لأبقى سجينًا طيلة الليل .. أهاب أمينة المكتبة بشعرها الأزرق وعينى القط خلف عويناتها وفمها عديم الشفتين .. عندما تمس يدك بيدها الباردة طويلة الأظفار قائلة : ش ش ش ، لو نسيت أين أنت وتكلمت بصوت عال ..

نعم . كنت أخاف شرطة المكتبة ..

هنا حدث لى ما حدث لقصة (كريستين) .. انتهى المرح بعد ثلاثين صفحة ، وبدأت القصة تتحول لرعب صارخ يرتاد أماكن مظلمة زرتها كثيرًا ولا أعرف عنها أى شىء .. لقد وجدت الشخص الذى كنت أبحث عنه أيها القارئ وحاولت أن أصوره لك ، لكنى لم أوفق كثيرًا لأن يدى كانتا ترتجفان وأنا أحاول ذلك ..

الفصل الأول

الخطبـة

١

فيما بعد قرر (سام بييل) أن كل شىء كان غلطة لاعب الأكروبات الأحمق .. لو لم يفرط فى احتساء الخمر فى الوقت الخطأ لما وقع (سام) فى هذه المشكلة . ليس سيئًا بما يكفى أن الحياة تشبه جسرًا ضيقًا فوق هاوية ، وعلينا أن نمشى فوقه معصوبى الأعين . هذا سيئ لكن ليس بما يكفى .. أحيانًا يدفعنا أحدهم كذلك .. لكن هذا حدث فيما بعد .. فقبل أن يظهر شرطى المكتبة كان هناك لاعب الأكروبات الثمل ..

٢

فى مدينة (جانكشان) كان آخر جمعة فى الشهر هو يوم الخطب فى قاعة (الروتارى) المحلية . وفى شهر مارس من عام ١٩٩٠ كان أعضاء نادى الروتارى سيسمعون (جو) المدهش .. لاعب الأكروبات صاحب السيرك الجوال .

دق جرس الهاتف على مكتب (سام بييل) للعقارات والتأمينات فى الرابعة وخمس دقائق من عصر الخميس ، فرفع (سام) السماعة لأنه مدير المكتب وموظفه الوحيد . لم يكن ثريًا لكنه سعيد .. وقد اعتاد أن يخبر الناس أنه لم يقتن (المرسيدس) بعد لكن سيارته الفورد تؤدى عملها جيدًا ..

- « (سام) .. هنا (كريج) .. لاعب الأكروبات قد دق عنقه ! »

- « ماذا ؟ »

- « أنت سمعت .. لاعب الأكروبات دق عنقه اللعين »

فكر (سام) بعض الوقت ، ثم قال :

- « هل مات ؟ »

ـ « لا .. لكن ربما دنا من ذلك .. إنه فى المستشفى وقد التف عشرون رطلاً من الجبس حول عنقه .. قال لى (بيلى) إن لاعب الأكروبات جاءه فى حفلة الصباح (الماتينيه) ثملاً كظربان .. حاول أن يجرى شقلبة خلفية فهوى خارج الشبكة على عنقه .. قال إنه سمع صوت تهشم العنق وهو فى مقاعد المتفرجين »

ـ « أخ ! »

ـ « لست مندهشًا على كل حال .. (جو) المدهش ؟ أى اسم هذا للاعب سيرك ؟ إن الموقف كقطعة من القاذورات فوق الخبز المقدد .. لن يكون هناك خطيب فى الحفل .. »

تمنى (سام) لو كان قد انصرف فى الرابعة وترك آلة الرد على المكالمات تعمل .. كان هذا سيعطيه بعض الوقت للتفكير ..

لكن (كريج) واصل الضغط عليه :

ـ « فكرنا أنك قد تأتى لتملأ الفراغ .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ لا أستطيع عمل شقلبة واحدة و ... »

ـ « بل تتكلم عن أهمية الأعمال المستقلة فى حياة البلدات الصغيرة .. (سام) .. أنا لست فقط رئيس لجنة

الخطابة .. بل أنا اللجنة ذاتها منذ رحل (كينى) وكف (كارل) عن حضور الاجتماعات .. (سام) أنا بحاجة لعونك .. يجبْ أن تأتى لتكون خطيب الحفل غدًا .. ليس لدى سوى خمسة أشخاص أثق فى قدرتهم على إلقاء خطاب »

ـ « لكن عملى هو كتابة وثائق التأمين وحين لا أفعل ذلك أبيع المزارع .. معظم الناس يجدون عملى مملا ومن لا يجدونه مملاً يجدونه مثيرًا للغثيان »

لكن (كريج) كان متأهبًا للقتل ، لذا قال فى إصرار :

ـ « أنت تعرف أنهم سيكونون ثملين بعد العشاء ولن يتذكر واحد منهم حرفًا مما تقول .. فقط أريد أحمق يقف ويتكلم نصف ساعة وقد انتخبتك .. أنت مدين لى »

ـ « حسن .. حسن .. لم لا ننهى المحادثة ؟ لابد من كتابة خطبة »

ـ « اكتب ما تريد .. لكن تذكر أن العشاء فى السادسة والخطبة فى السابعة والنصف »

ووضع السماعة وهو يشعر ببركان من الحمض يصعد فى معدته .. المعدة التى كانت هادئة منذ خمس دقائق ..

٣

لم يذهب (سام) هذه الليلة للعب البولينج كما كان ينتوى ، بل أغلق مكتبه عليه .. وجلس على المكتب وأمامه ثلاثة أقلام رصاص ومفكرة وعلبة تبغ ، ونزع قابس الهاتف .. ثم كتب العنوان :

« الأعمال فى المدن الصغيرة شريان الحياة للأمريكيين »

قرأ الاسم بصوت عال فراق له .. لا .. ربما لم يرق له لكن يمكنه تحمله على كل حال . وبدأ يكتب ...

٤

فرغ (سام) من تلاوة خطابه فدفن لفافة التبغ فى المطفأة ونظر متسائلاً إلى (ناعومى هجنز) :

ـ « ما رأيك ؟ »

كانت (ناعومى) شابة حسناء من (بروفيريا) .. وهى مدينة على بعد أربعة أميال غربى (جانكشان) ..

هناك كانت تعيش فى بيت آيل للسقوط مع أم آيلة للسقوط بدورها . وكان المتراهنون فى المدينة يتراهنون حول أيهما سيسقط أولاً : البيت أم الأم .. وكانت كاتبة اختزال بارعة تمر على أكثر من عميل تجارى لتكتب خطاباته .

قال لها :

ـ « لا تخشى من الحقيقة .. »

لكنه كان يعتقد أن الخطبة جيدة فعلاً .. وقد بدأ يتضايق من فكرة أن الجميع سيكونون ثملين ولن يهتموا بما يقول ..

ـ « بالعكس .. أعتقد أنها خطبة ممتعة .. لكنى أراها .. لنقل .. جافة .. »

كان هو مرهقًا لأنه سهر حتى الواحدة صباحًا فى هذه الخطبة فقالت مقترحة :

ـ « اذهب للمكتبة وابحث عن كتاب أو اثنين .. كتب فيها .. لنقل .. نكات مثلاً أو أشعارًا وطنية أمريكية .. »

شعر بتقلص فى معدتـه .. الأمر بدأ يزيد على الحد .. هل يجرى بحوثًا من أجل خطبة فى نادى (روتارى) ؟ إنه لم يقصد المكتبة قط ..

ـ « هـل المكتبـة فيها شىء عـن النكـات المناسبة للخطب ؟ »

ـ « بالتأكيد ستجد شيئًا كهذا .. »

راح يفكر . وبدأت الفكرة تروق لـه .. بعض توابل على الخطبة ربما تحسنها وربمـا تدفعه لارتياد المكتبة بعد أعوام من التجاهل السعيد .. على كل حـال المكتبة هى المكتبة .. يمكن دومًا أن تسأل أمينـة المكتبة عما تريد ..

قالت له الفتاة :

ـ « لكن يمكن تركها كما هى فعلى الأقل سيكونون ثملين ولن يسمعوا شيئًا .. »

لكنه كان قد قرر أن يمضى ما بعد الغداء فى المكتبة ..

* * *

الفصل الثانى

المكتبـــة

١

كان (سام) قد مر على المكتبة مئـات المرات خلال حياته فى البلدة ، لكن هذه هى المرة الأولى التـى ينظر لها فعلاً ، وقد أدرك شيئًا غريبًا هو أنه يكرهها بمجرد النظر .. النوافذ ضيقة والباب غريب الشكل مع السقف .. كل هذا جعل مدخـل المكتبة يبدو كوجـه (روبـوت) حجرى مقطب .. هذا طـراز مميز للمبـانى فـى (أيوا) وقد أطلق على هذا الطراز اسم (الغرب القبيح) ..

لكنها مجرد مكتبة .. ليست أقبية المستنطقين .. لاشىء يبرر الحموضة التى شعر بها فجأة ، من ثم دس فى فمه قرصًا معالجًا لها .. أنت قـد وافقت علـى إلقـاء خطاب فـى نـادى روتـارى متواضـع وليست الأمـم المتحـدة .. فلمـاذا لا تنسـى الأمـر وتعـود للمكتـب ؟ كـان يمقت اجتماعـات الروتـارى ويسخر منهـا ، لكنهـا كانت تمتاز بأنها المكان الذى يسمح بعمـل علاقـات .. علاقات مع

أشخاص يمكنهم أن يمنحوك ثلاثة ملايين بمكالمة هاتفية .. لهذا تحضر الاجتماعات يوم الجمعة .. ولهذا يهتم (كريج) بالأمر .. لأنك ترغب فى أن يلاحظك هؤلاء الذين يحركون الأمور ويهزونها فى البلدة .

سيكون الجميع ثملين لكن بعضهم لن يسكر .. وعلى الأرجح سيكون هؤلاء الذين لن يسكروا هم الأشخاص الذين يهمك رأيهم فيك ..

لكنه لاحظ شيئًا غريبًا .. لا توجد نباتات على جانبى بناية المكتبة .. لكن ما معنى هذا ؟ تسلق الدرجات ووقف أمام الباب ..

بدا له المكان مهجورًا .. قبض على المقبض وراهن نفسه على أنه سيكون مغلقًا .. لابد أنهم يغلقون عصر الجمعة .. شيء ما أراحه فى هذه الفكرة .. لكن المقبض تزحزح ووجد (سام) نفسه يدخل إلى قاعة لها أرضية على شكل الشطرنج . وفى وسط المدخل وجد حاملاً يحمل لافتة ، تقول :

الصـمت !

فقط الصـمت .. وليس (الصـمت مـن ذهـب) أو (الهدوء من فضلك) ..

شعر فى هذه اللحظة أنه فى الصف الرابع الابتدائى ، وأن المعلمة تناديه لتسأله مسألة صعبة .. نظر حوله فى توتر متوقعًا قدوم أمينة مكتبة سيئة الطبع لترى من هذا الأحمق . كف عن الذعر .. أنت فى الأربعين .. زمن طويل يفصلك عن الصف الرابع الابتدائى يا صاحبى ..

مشى فى قلق متجهًا إلى المدخل .. كانت هناك كرات زجاجية تتدلى من السقف العالى ، لكنها لم تكن مضاءة .. كانت الإضاءة تأتى من نافذتين تطلان على السماء .. وفى يوم مشمس يمكن لهما أن تجعلا المكان بهيجًا .. لكن يوم الجمعة هذا كان معتم الإضاءة ..

شعر بأنه دخل عالمًا لا ينتمى له .. عالمًا لا ينتمى لهذا الذى يعرفه ويحبه أحيانًا ويمقته أحيانًا .. لكنه يأخذه كقضية مسلم بها .. الصمت ثقيل كالبطانية بارد كالثلج ..

هناك كتب تغطى كل الجدران وسلالم من الطراز الذى يتحرك على عجلات مطاطية .. وثمة لافتة تحدد فترة الاستعارة بسبعة أيام ..

كانت هناك كاميرا ميكروفيلم صغيرة على المنضدة، فلم يبد أن هناك رجلاً أو امرأة .. كانت هناك لافتة اسم صغيرة تقول (لورنز) .. لكن لا يوجد مستر أو مس (لورنز) هنا .. شعر بتوتر وتمنى لو كان قد عاد إلى مكتبه .. تذكر أغنية قديمة من طفولته تقول : لا صخب ولا مرح .. لقد بدأ اجتماع الكويكرز (*) ! لو أظهرت أسنانك أو لسانك فعليك دفع غرامة ..

مشى إلى نهاية الممر فوجد بابًا عليه لافتة تقول : « كتب الأطفال » . كان الباب مغلقًا وعليه صورة تظهر (ذات الرداء الأحمر) تواجه ذئبًا يلبس ثياب الجدة .. وكان الهلع على وجه الفتاة بينما الزبد يسيل من شدقى الذئب .. الصورة كلها توحى بأن النهايات السعيدة لكل القصص الخيالية مجرد كذبة . فتح الباب فزالت كل مخاوفه ..

(*) جماعة دينية أمريكية أنشأها (جورج فوكس) وكانت تنادى بالسلام ، إلا أن طابع اهتزازهم المتكرر أثناء الصلاة منحهم هذا الاسم الذى يعنى (المهتزون) ..

لقد توفى أبوه وهو صغير السن وكانت أمه عاملة فلم يكن يراها إلا أيام الأحد تقريبًا .. وكان يذهب إلى المكتبة .. الآن يستعيد هذه المشاعر فى مزيج من الحنين والألم ..

إنه عالم مضاء بشكل مبهر .. أضواء فلورسنت من السقف تطل على مناضد صغيرة تراصت إليها مقاعد مناسبة للأطفال . فى هذا العالم يصير الكبار غرباء حشريين .. لو حاولوا الجلوس لرفعوا المناضد على ركبهم .. سوف يهشمون جماجمهم لو انحنوا ليشربوا من نافورة الماء فى ركن المكان . السقف منخفض أكثر مما يريح الكبار لكن ليس إلى درجة أن يخنق الأطفال .

لا توجد كتب كئيبة التجليد ولكن توجد صفوف من الألوان البراقة الصارخة . هنا يصير د . (سويس Seuss) ملكا وتصير (جودى بلوم Blume) ملكة .. يستعيد الشعور القديم بأن الكتب تتوسل لك كى تمسك بها .. تفتحها ..

هناك صورة لكلب لطيف على الجدار كتبت تحتها أصدق حقائق الحياة : من الصعب أن تكون طيبًا .. نظر (سام) إلى اليسار فرأى صورة جعلت البسمة تموت على شفتيه .. صورة سيارة سوداء تندفع

بسرعة خارج بناية مدرسة ومن وراء نافذتها يطل وجه طفل مذعور يصرخ .. ووراء عجلة القيادة خيال مظلم لرجل كبير مخيف .. وتحت الصورة كتبت عبارة :
ـ لا تقبل توصيلة من الغرباء !

بالطبع على الأطفال ألا يقبلوا توصيلة من الغرباء ، ويجب أن يتعلموا هذا بوضوح .. لكن هل هذه هى الطريقة المثلى لتعليمهم هذا ؟! كم طفل قضى أسبوعًا من الكوابيس بفضل هذه الصورة !

كانت هناك صورة أخرى لطفلين مذعورين يقف أمامهما رجل يلبس معطفًا وقبعة .. لابد أن طوله لا يقل عن مترين بينما ظله يسقط عملاقًا على الطفلين .. عينا الرجل تتوهجان فى ظل قبعته بينما هو يمسك شارة فى يده .. والعبارة تحت الصورة تقول :

ـ « احترس من شرطى المكتبة ! أعد الكتب فى موعدها »

فجأة ! سمع صوتًا من خلفه يقول :

ـ « مرحبًا بك .. »

هكذا استدار بسرعة متأهبًا للقتال مع تنين المكتبة الذى قرر الظهور الآن ..

٢

لم يكن هناك تنين .. فقط امرأة مكتنزة فى الخامسة والخمسين ذات شعر أبيض ، تدفع عربة صغيرة عليها كتب ، وقالت :

ـ « أحسبك تبحث عنى .. هل أخبرك مستر (بيكام) بمكانى ؟ »

ـ « لم أر أحدًا قط »

ـ « إذن لابد أنه ذهب لبيته .. لا يدهشنى هذا فى يوم الجمعة . إنه يأتى ليكنس المكتبة ويقرأ الجريدة .. فهو الفراش .. لكنك تعرف كم أن جرائد الجمعة هزيلة ! »

ـ « أعتقد أنك أمينة المكتبة ؟ مس (لورتز) ؟ »

ـ « وأنت (سام بيبلز) ؟ العقارات والتأمين .. هذه لعبتك ! يؤسفنى أنك لم تلق أحدنا .. نحن اثنان فقط هنا لأن العمدة قد خفض نفقات المكتبة .. فقط نصير ثلاثة فى وقت خروج المدارس ؛ لأن الأطفال هم أهم عملائنا وأكثرهم إخلاصًا »

بدأ يشرح لها مشكلته .. إن خطيب الحفل قد حطم عنقه وعليه هو أن يلقى خطبة الروتارى الليلة .. كانت تصغى له باهتمام لكنه لم يستطع أن يرتاح لها .. كان هذا غريبًا بالنسبة لرجل بيزنس مثله يتعامل بحرارة (وإن كان بسطحية) مع كل الناس ..

ـ « كتبت الخطبة وقرأتها تلك الفتاة التى تقوم بالاختزال لى .. و ... »

ـ « (ناعومى هجنز) على ما أظن .. »

ـ « هل تعرفينها ؟ »

ـ « نعم .. تأتى لتأخذ الكتب الرومانسية من عندى .. تقول إنها لأمها لكن أعتقد أنها تقرؤها بنفسها .. إنها السكرتيرة الوحيدة هنا ويبدو أنها الشابة التى تتكلم عنها .. »

ابتسم لهذه المعلومة .. إن (ناعومى) لها عينا من يقرأ القصص الرومانسية سرًا على كل حال ..

ـ « (ناعومى) ترى أن الخطبة جافة وأن على أن أضيف لها شيئًا من كتاب ما .. »

ـ « إذن أعتقد أنك تبحث عن كتاب (رفيق الخطباء) .. »

ـ « هل فيه نكات ؟ »

ـ « فقط ٣٠٠ منها .. »

ثم أمسكت بيده تقتاده إلى الخارج ، قائلة :

ـ « من هنا يا (سام) .. سوف تنتهى مشاكلك حالاً .. فقط آمل أن تزور مكتبتنا بشكل طبيعى بعد هذا من دون حاجة إلى مشكلة فى كل مرة .. إنها صغيرة لكنها ممتازة »

واقتادته إلى القاعة الواسعة الكئيبة فأضاءت عدة مفاتيح ليغمر ضوء مبهج المكان ..

ـ « لا تؤاخذنى .. إن الجو يكون كئيبًا من دون أضواء هنا ، لكن العمدة يحدث صخبًا حول تكلفة الكهرباء عندنا .. يمكنك أن تتخيل ذلك »

ودخلت لتفتش بين الرفوف عن الكتاب .. وقف (سام) شاعرًا بأنه ما زال فى الصف الرابع .. صبى معاقب فى الصف الرابع لذا لا يستطيع اللعب مع أصحابه .. الأغرب أن المكتبة خالية تمامًا .. لم يتوقع

أن تكون مزدحمة لكنه توقع على الأقل أن يرى رجلاً على المعاش يتصفح جريدة .. حتى مستر (بيكام) قد فرغ من الجريدة وعاد للدار .. لأن جرائد الجمعة تكون هزيلة كما تعلم ..

غريب أنه لم يحب هذه المرأة اللطيفة قط .. لكنه يعرف أن السبب هو الملصقات التى رآها .. أنت لست مستعدًا لتحب أى شخص يعلق ملصقات كهذه فى مكتبة أطفال ..

نظر للجدار فوجد عبارة مقتبسة من (إمرسون) تقول : لو أردت أن ترى كيف يعامل الرجل زوجته وأطفاله فلتر كيف يعامل كتبه ..

لم ترق له العبارة لأنه كانٍ يفترض أن الرجل يعامل زوجته وأطفاله أفضل قليلاً من الكتب .. مهما كان الأمر ..

هنا عادت مس (لورتز) ، وقالت وهى تبتسم :

ـ « أعتقد أننى وجدت ضالتك . »

فى الحقيقة لم يحب ابتسامتها ، ثم عرف أن السبب هو أن عينيها لا تبتسمان أبدًا ..

وناولته كتابين ، أحدهما كان (رفيق الخطباء) والآخر كان (أكثر الأشعار شعبية لدى الأمريكيين) .. الكتاب الأخير قامت باختيار أشعاره امرأة تدعى (هيزيل) تزعم أنها وضعت أصابعها على نبض حياة الأمريكيين . نظر للكتاب فى شك ، فقالت المرأة :

ـ « نعم .. تبدو عتيقة الطراز لكنها كتب ممتازة صدقنى .. مثلاً صفحة ٦٥ من هذا الكتاب ـ إن لم تخنى الذاكرة ـ فيها فصل بعنوان (الإلهام) .. وهو مخصص للخطباء المبتدئين .. إن مقطوعة صغيرة من الشعر سوف تلتصق بذهن الناس حتى لو كانوا ثملين .. سوف تجد فى الفصل الثالث خطة للحصول على اهتمام مستمعيك .. تليينهم .. ثم تنعيمهم .. ثم السيطرة عليهم .. »

قال (سام) لنفسه : يبدو هذا كتيبًا لتعليم زير النساء (الجيجولو) .. لكنه قال لها :

ـ « فقط أنا أتساءل .. جئت هذه المكتبة لغرض معين ، وهأنذا قد ظفرت بما أريد بالضبط .. كم مرة يمكن أن

يحدث هذا فى الحياة ؟ كم مرة ظفرت بقطع اللحم التى تريدينها بعنف من الجزار ؟ »

ـ « سأعتبر هذه مجاملة .. »

ـ « إنها كذلك .. »

ـ « أخشى أن هذا لن يغير حقيقة أنك مدين لى بدولارين .. »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « هذه تكاليف استخراج بطاقة استعارة للكبار لكنها صالحة لمدة ثلاثة أعوام .. والتجديد بخمسين سنتًا .. هل هى صفقة ؟ »

ـ « تبدو كذلك لى .. »

ـ « إذن اتبعنى من هنا لننهى الإجراءات »

٣

ملأ البيانات التى طلبتها منه ، فقالت له :

ـ « كان يجب أن تكون متزوجًا .. »

ـ « ومن قال لك إننى لست متزوجًا ؟! »

ـ « نفس الطريقة التى عرفت بها أننى غير متزوجة .. لا يوجد شىء فى الإصبع الثالث الأيسر ! والآن دولاران من فضلك »

ثم استخرجت له بطاقة ذات لون برتقالى فاقع ووقعت باسمها تحت بياناته .. لاحظ أن اسمها الأول (أرديليا) .. بدا له اسمًا جميلاً وغير مألوف ..

قالت له ، وهى تصور البطاقة على جهاز الميكروفيلم :

ـ « يمكنك الاحتفاظ بالكتب لأسبوع واحد .. لأنها من قسم (المراجع) .. هذا قسم ابتكرته بنفسى للكتب التى تطلب بإلحاح .. تأكد من إرجاع الكتابين قبل السادس من ابريل »

وفجأة خيل إليه أنه يرى شيئًا عجيبًا .. للحظة بدا كأن عينى (أورديليا لورتز) تلمعان .. كأن هناك عملتين فى عينيها ، وقالت باسمة :

ـ « وإلا اضطررت لإرسال شرطى المكتبة فى أثرك »

٤

للحظة تلاقت عيناهما فخيل لـ (سام) أنه يرى (أرديليا لورتز) الحقيقية ، فلم يكن هناك شىء جذاب أو ناعم فيها . فكر فى أن هذه المرأة خطرة ثم استبعد الفكرة ، وقد فسرها بالجو الكئيب وتوتره بصدد الخطبة .

على الباب قال لها :

ـ « ثمة ملحوظة بصدد تلك الملصقات المعلقة فى غرفة قراءة الأطفال .. »

ـ « آه .. تعنى شرطى المكتبة و(سام) الساذج ؟ هكذا يسميه الأطفال لأنه ساذج وركب السيارة مع شخص غريب .. »

ـ « هذه الصور .. تبدو لى مفزعة خاصة حينما يراها الأطفال .. »

ـ « لكنها فعالة .. ألا ترى هذا معى ؟ لست أنت أول من انتقد هذه الصور .. لست أول شخص بالغ لم ينجب أطفالاً يبدى هذا التعليق .. »

كانت لهجتها توحى باللوم .. بأنه حصل على ما يريد ثم قرر أن يتسلى بانتقاد طريقتها فى إدارة المكتبة ..

أردفت المرأة :

ـ « لقد أجرينا استفتاء بين الأطفال من رواد المكتبة العام الماضى .. هذا جزء مهم من عملنا .. اتضح أن الفيلم المفضل لدى الأطفال هو (كابوس فى شارع إلم ـ ٥) وأفضل فرقة غنائية تدعى (المسدسات والأزهار) .. أفضل قصة قرءوها كانت تدعى (أغنية البجعة) .. قصة مرعبة كتبها رجل يدعى (روبرت مكامون) .. هذه القصة قرأ الصبية كل نسخة منها حتى تحولت إلى خرقة .. وحتى النسخة التى قمت بتجليدها سرقها صبى شرير .. »

ثم ضمت شفتيها ، وقالت :

ـ « عن نفسى لم أر أى جزء من (كابوس فى شارع إلم) .. ولا يمكن أن أقرأ قصة لـ (مكامون) أو (ستيفن كينج) أو (ف س أندروز) .. هل تفهم ما أرمى إليه ؟ الملصقات التى نعلقها تأتينا من مجمع المكتبات القومى .. وهذا يموله دافعو الضرائب .. أى إنه يأتى منك ومنى .. »

كان (سام) ينقل ساقًا بدل ساق .. وما كان ليحب أن يمضى العصر يصغى لمحاضرة عن حرية الاختيار ، لكن ما كان متأكدًا منه هو أنه يمقت (أرديليا لورتز) أكثر فأكثر كل دقيقة ..

ـ « هناك لجنة بها أطفال تختار لنا الملصقات .. هل بدأت تفهم ؟ »

ـ « نعم . الأطفال اختاروا شرطى المكتبة و(سام) الساذج لأنها ملصقات مرعبة »

ـ « بالضبط .. »

صافحها ، وقال :

ـ « أرجو ألا أكون تجاوزت حدودى .. أنت لست متضايقة منى »

مدت يدها تلمس يدها ، وقالت :

ـ « على الإطلاق .. »

ثم أشارت بإصبع مكسوة بالطلاء بعناية إلى الكتب ، وقالت :

ـ « تذكر .. أسبوع واحد يا (سام) .. لا أحب أن أرسل شرطى المكتبة فى أثرك .. »

وابتسمت ..

قال (سام) :

ـ « وأنا كذلك لا أحب .. »

★ ★ ★

الفصل الثالث

خطبة (سام)

١

كان نجاح الخطبة ساحقًا .. لقد بدأ بإحدى قصص (التليين) فى كتاب (رفيق الخطباء) .. وكان قد اختار قصة عن بيع طعام مجمد للإسكيمو .. ثم ألقى مقطوعة شعرية قصيرة .. وأنهى كلامه قائلاً :

ـ « حاولت أن أعطيكم بعض أسباب عملى فى بلدة صغيرة مثل (جانكشان) .. فإن لم تقنعكم فأنا فى مشكلة كبرى ! »

دوت ضحكات من القلوب مع رائحة أبخرة الويسكى .. وكان عرقه يسيل بغزارة لكنه يشعر بالرضا عن نفسه وبدأ يعتقد أنه قد ينجو من هذا .. لم ينصرف أحد ولم يلق أحدهم بطعامه .. هناك صيحة استهجان واحدة ، لكنها كانت حميدة ..

قال لهم :

ـ « لا شك فى أن المتاجر الكبرى فى المدن تبيع أشياءها بأسعار أرخص منا .. بل يمنحونك مكانًا مجانيًّا توقف فيه سيارتك .. لكن هناك شاعرًا يدعى (مايكل سبنسر) قال :

فقط اللمسة البشرية فى هذا العالم هى ما له معنى .

لمسة يدك أو يدى ..

إنها أكثر أهمية للقلب المرتجف من المأوى والطعام والشراب ..

لأن المأوى يزول متى انتهت الليلة .. والخبز لا يدوم إلا يومًا ..

لكن لمسة اليد تغنى فى روحك للأبد .. »

فما أن انتهى حتى كان التصفيق يصم الآذان .. وراح يتعالى .. قال لنفسه إنه ما شربوه .. كانوا سيصفقون بنفس الطريقة لو قلت أى شىء سخيف ..

فجأة ! رأى الناس ينهضون ، فقال لنفسه إنهم متلهفون على الانصراف ، لكنه رأى (كريج) يشير له ففهم .. يريد منه أن ينحنى لهم .. نهض كالمذهول غير مصدق فوجدهم يصفقون له فعلاً ..

وهتف (كريج) وهو يحرك يدى (سام) كالمضخة لأعلى وأسفل :

ـ « هذا عظيم .. لو عرفت منذ البداية أنك موهوب هكذا لحجزت لك الدور الأول .. من أين نسخت هذه الخطبة ؟ »

ـ « لم أنسخها .. إنها من تأليفى »

راح الجميع يصافحونه حتى شعر بأنه الطلمبة الوحيدة فى المدينة فى موسم الجفاف ..

ـ « أفضل خطبة سمعتها فى هذا النادى اللعين منذ عامين ! »

٢

فى الصباح عاد لعالم الأحياء بمعدة متقلصة من فرط الشراب .. لقد فتح باب بيته بمعجزة ؛ لأنه وجد بدلاً من مفتاح واحد وقفل واحد ثلاثة مفاتيح وأربعة أقفال .. وقد نزع ثيابه وارتمى فى الفراش غير عالم بأى شىء ..

وقف فى الحمام تحت الدش البارد ، ثم ارتدى ثيابه .. وأدار شريط آلة الرد على المكالمات . فى البداية جاء صوت امرأة .. أين سمعه من قبل ؟

ـ « أهلاً يا سام .. سمعت خطبتك وكانت رائعة .. أنا فخور بك »

لقد كانت تلك المرأة (لورتز) .. كيف حصلت على رقمى ؟ لابد أنه كتبه فى بطاقة استعارة المكتبة ..

ـ « تأكد من إعادة الكتب قبل السادس من إبريل »

ثم انتهت المكالمة ..

قال (سام) :

ـ « أنت إنسانة كريهة »

ثم اتجه للمطبخ ليعد لنفسه بعض الخبز المقدد ..

٣

عندما عادت (ناعومى) بعد أسبوع ناولها مظروفًا سميكًا فتحته فوجدت بطاقة شكر مع عشرين دولارًا .. نظرت له متسائلة ، فقال :

ـ « هذا على سبيل الشكر .. أنت من أعطانى فكرة الذهاب للمكتبة .. وبفضلك كانت خطبتى ناجحة بحق .. »

قالت ، وهى تنظر للباب لتتأكد من أن بوسعها التراجع :

ـ « أنا لا أريد هذا .. لقد كان ذلك عملى »

ـ « ألا تفهمين أننى بعت منزلين وكتبت وثائق تأمين بمائتى دولار منذ ألقيت هذه الخطبة اللعينة ؟ لو لم تأخذى هذا المبلغ لصرت فى أتعس حال »

كان قد حاول التقرب لها عام ١٩٨٨ لكنها أفلتت من عروضه ببراعة وحنكة .. قالت إن السبب ليس أنه لا يروق لها ، ولكن لأنها لا تتصور أية علاقة بينهما فى أى وقت .. بعض الأشياء لا يمكن شرحها يا (سام) لكن ليس بوسعى .. صدقنى ..

هكذا أخذت المبلغ لترضيه ، لكن شعر بأنها مسرورة ، وقالت له :

ـ « لكن .. الآن وقد أخذت المال فهل يمكننا أن نتكلم فى موضوع آخر ؟ »

عقد يديه خلف رأسه ونظر إلى السقف مفكرًا ، وقال :

ـ « إنه الحظ .. حين طلب منى (كريج) أن ألقى هذه الخطبة كنت على وشك قتله »

قالت :

ـ « أنت أسعد حظًا مما تظن .. عندما اقترحت عليك زيارة المكتبة نسيت أنها تغلق عصر الجمعة .. لكنك وجدتها مفتوحة .. لابد أن مستر (برايس) كان يطالع جريدته هناك »

ـ « (برايس) ؟ لابد أنك تعنين (بيكام) .. الفراش الذى يهوى قراءة الصحف ؟ »

نظرت له ، وقالت :

ـ « (بيكام) الوحيد الذى أعرفه مات منذ عامين .. أنا فعلاً أتحدث عن مستر (برايس) أمين المكتبة .. »

ـ « لم أر إلا مس (لورتز) .. وهى امرأة ممتلئة فى منتصف العمر »

نظرت له نظرة ذات معنى ، وقالت :

ـ « مس (لورتز) ؟ هذا غريب .. إنها ... »

لو أنها أكملت كلامها لغيرت الكثير ، لكن الحظ يلعب ألعابًا غريبة .. هذا ما فكر فيه فيما بعد .. ففى هذه اللحظة بالذات دق جرس الهاتف ..

كان هذا (بيرت إيفرسون) الأب الروحى لكل رجال القانون فى بلدة (جانكشان) .. كان يتحدث عن صفقة تأمين كبرى .. المركز الطبى الجديد الذى ما زال فى بدايته ، لكنك تعرف إلى أى حد يمكن أن يتسع ..

هكذا حين عاد لـ (ناعومى) كان قد نسى كل شىء عن (لورتز) .. هذه الصفقة ضخمة ، ويمكن أن تضعه خلف عجلة قيادة المرسيدس التى يحلم بها ..

كانت (ناعومى) تعرف جيدًا من هى (أرديليا لورتز) وقد حسبت (سام) يعرف كذلك .. لقد كانت المرأة صاحبة أسوأ قصة فى (جانكشان) منذ عشرين عامًا .. ربما منذ الحرب العالمية الثانية .. حينما عاد الفتى (موجنس) إلى داره من المحيط الهادى ، وقتل أسرته قبل أن يصوب السلاح إلى رأسه ويفجره .. لقد فعلها (إيرا موجنس) قبل عصر (ناعومى) .. ولم تعرف أن قضية (أرديليا) حدثت قبل قدوم (سام) إلى البلدة ..

لقد نسيت الأمر وراحت تفكر ما إذا كانت ستتناول (لازانيا) أم شواء على العشاء .. وهكذا راح (سام) يملى عليها الخطابات ثم دعاها إلى الغداء فرفضت ؛ لأنها يجب أن تعود لأمها التى بدأت صحتها تتدهور هذه الأيام .. هكذا لم يتكلم أحد عن (أرديليا) ذلك اليوم ..

★ ★ ★

الفصل الرابع

الكتب المفقودة

١

ما كان (سام) من هواة وجبة الإفطار ، غير أنه فى أيام السبت من حين لآخر كان يشتهى أن يغير الروتين ، فيستيقظ متأخرًا ثم يتجه إلى مطعم (ماكينا) ليحظى بإفطار دسم من اللحم والبيض بينما يقرأ الصحيفة .. يقرؤها فعلاً ولا يكتفى بتقليب صفحاتها ..

وقد اتبع هذا الروتين فى الصباح التالى .. السابع من إبريل .. كان الجو صحوًا رائقًا يمثل بدقة بداية الربيع ..

كان قد فرغ من الإفطار وعاد إلى داره ليجد أن هناك رسائل على آلة الرد على المكالمات .. أدار الشريط فسمع صوت (أرديليا) الذى لا يمكن أن تخطئه ، يقول :

ـ « (سام) .. لقد خاب أملى فيك .. لم ترجع الكتب التى استعرتها ! »

ـ « اللعنـة ! »

كان هناك شىء يحيره طيلة الأسبوع ويتواثب على لسانه .. الكتب .. لابد أنها وجدته ذلك الجلف الفظ الذى أرادته أن يكون .. هو يتحذلق ويصدر أحكامه حول أية صور تصلح لمكتبة الطفل وأيها لا يصلح .. المهم الآن أن يعرف إن كانت قد وضعت لسانها السليط على آلة الرد أم أنها تؤجل هذا حتى تراه وجهًا لوجه .

ـ « لقد توقعت ما هو أفضل من ناحيتك يا (سام) .. »

وجد أنه واقف فى الدار وحده ولفافة التبغ بين يديه وأذناه محمرتان .. لقد عاد صبيًا فى الصف الرابع الابتدائى .. من جديد عاد صوت المرأة :

ـ « لقد قررت أن أمدد لك الفترة حتى يوم الإثنين .. فقط تجنب إغضابى .. وتذكر شرطى المكتبة يا (سام) .. »

قال لها :

ـ « قديمة يا صغيرتى .. »

لكن المكالمة كانت قد انتهت وكذلك انغلق جهاز التسجيل ..

٢

أشعل (سام) لفافة تبغ وراح يفكر .. ربما يبدو تصرفه أقرب إلى الجبن ، لكنه سينهى مشكلته مع مس (لورتز) بالإضافة إلى أنه يحمل عدالة لا بأس بها . لقد كافأ (ناعومى) وعليه أن يفعل ذات الشىء مع (أرديليا) ..

جلس إلى مكتبه وبدأ يكتب فى دفتر أوراقه :

عزيزى مس (لورتز)

أعتذر عن تأخير إعادة الكتابين .. هذا اعتذار صادق لأن الكتب كانت ذات نفع عظيم فى إعداد خطابىً ، أرجو قبول هذا المبلغ تعويضًا عن تأخير الكتابين ، والباقى تعبيرًا عن امتنانى .

سام بييلز

كاد يعدل (الكتابين) إلى (كتابى المكتبة) ثم عدل عن هذا لأن المرأة تتصرف بطريقة (أنا الدولة والدولة أنا) حتى لو كانت الدولة هى المكتبة .. وضع ورقة بعشرين دولارًا من حافظته وثبتها بدبوس إلى الورقة .. ثم راح يفكر .. على الأرجح ستعتبرها رشوة وتجن ..

على كل حال لن يقدم لها المال شخصيًا لأنها ستكون حادة معه .. سيحزم الكتابين برباط مطاطى ويضع المذكرة والمال بينهما .. إن له ستة أعوام فى البلدة دون أن يحظى برؤية (أرديليا) لذا يمكن بشىء من الحظ ألا يراها ستة أعوام أخرى .

راح يبحث عن الكتابين .. هما ليسا فى المكتب .. دخل المطبخ فوجد شريطى فيديو ومظروفًا ..

راح يحك رأسه متسائلاً ..

صعد إلى الطابق الثانى فلم يجدهما .. الآن بدأ يشعر بشعور سيئ للغاية ..

٣

عندما جاءت الثالثة عصرًا كان يغلى بـالمعنى الحرفى .. لقد فتش كل ركن فى البيت حتى الكرار .. وهو ذا قد أمضى يوم سبت جميل يبحث عن كتابين بلا جدوى . تذكر أمه عندما كانت تقول له : لو عجزت عن العثور على شىء فلا تقلب المكان بحثًا عنه .. اجلس وفكر ..

راح يسترجع شريط الذكريات منذ استعار الكتاب حتى ... لقد عاد إلى المكتب وفى الطريق عرج على (سام) ليأكل بيتزا بيبرونى وفطيرة بعيش الغراب أكلها على مكتبه وهو يتصفح الكتابين .. وراح يحاول ألا يسقط شىء من البيتزا على الكتاب .. وحين عاد لداره مساء أخذ معه الخطبة لا الكتابين .. ثم جاء (كريج) ليوصله إلى ومن الحفل ..

السبت ضاع كله فى دوار الخمر Hangover .. لم يذهب للمكتب يوم الأحد .. هذا مؤكد .. يوم الإثنين تلقى مكالمات هاتفية هى بداية نجاحاته وحين غادر المكتب كان يحمل حقيبة أوراقه فى يد والكتب فى الأخرى .. كان ينوى إعادتها لولا أن تلقى دعوة عشاء من صديق

لأن ابنة أخيه كانت فى زيارة .. عندما تكون عزبًا فى بلدة صغيرة يتحول كل إنسان إلى خاطبة .. عندما عاد لبيته كان قد نسى كل شىء عن الكتب ..

شعر بموجة أمل عابرة كالتى يشعر بها الناس عندما يعتقدون أن رغبتهم فى الشىء كافية كى يوجد .. ربما تركت الكتب فى السيارة .. لكن لا .. الآن يذكر أنه فتح باب شقته وكانت الكتب فى يده .. ثم رأى بعين الخيال ذلك الصندوق من الورق المقوى فى المطبخ .. الصندوق الذى يترك فيه المخلفات ..

اتجه للهاتف وطلب (مارى فاسيرز) التى تنظف البيت صباح كل ثلاثاء .. كانت من الأشخاص المذعورين الذين يتوقعون الشر دومًا متى طلبتهم هاتفيًا ..

- « هل ثمة خطأ يا (سام) ؟ »

نعم .. نعم .. بعد صباح الإثنين ستبحث عنى تلك الشيطانة التى تعمل فى المكتبة . غالبًا حاملة صليبًا ومجموعة مسامير ..

- « لا لا يوجد خطأ . فقط كنت أبحث عن مجموعة من الأوراق الناقصة .. وحسبت أن (ديف) أخذها »

ـ « أنت تعرف أنـه يـأخذ كل شىء تتركـه فـى تلك العلبة المصنوعة من ورق مقوى .. هل هنـاك شىء خطأ ؟ أنت لم تسأل عن هذا الصندوق قط »

استغرق الكثير من الوقت ليقنع المرأة أنـه لا توجد كارثـة هنـالك .. وفـى النهايـة وضـع السماعة وجلـس منهارًا ..

(ديف) قد جاء لجمـع الصحـف القديمـة كعادتـه أول أسبوع من كل شهر ، ويبدو أنـه أخذ الكتـابين دون أن يعرف . يمكنه أن يتخيل ما حدث لهما الآن .. لقد صارا ورق طباعـة تـم تدويـره .. إن (ديـف) كـان مدمنـا للكحول .. ولما لـم يستطع الحفـاظ على وظيفـة ، راح يعمل فى جمع مخلفات الناس .. يخلصهم مـن الصحـف القديمة . ثم يحملها إلى مركز إعادة تدوير المخلفات الذى يسكن بجواره مع دستة ممن هم مثله ..

ظل للحظات يفكر .. ثم نهض متجهًا إلى سيارته ..

* * *

الفصل الخامس

شارع الزاوية

١

لا بد أن نوايا من كتب اللافتة كانت طيبة لكن هجاءه كان سيئًا .. كانت اللافتة المثبتة جوار السكة الحديديـة تقول : شارع الزاوية . ولما لم تكن هنـاك زوايا على طريق السكة الحديدية ، فقد قدر أن كاتب اللافتـة كان يعنـى : شارع الملائكة .. وقد خلط بين لفظة **angel** و **angle** ..

كان هذا المبنى يعود لأيام كانت هنـاك سكة حديديـة فـى (جانكشـان) .. لقد أزيلت أكثر القضبـان وتـم فك التحويلات بيد الناس الذين صار هذا مأواهم ..

وصل هناك عصرًا وكان نسيم خفيف يبعث الرجفـة فى أوصاله .. ومـن بعيد يسمع صوت صرير اللافتـة التى تحمل اسم المدينة تهتز للأمام والخلف . أمـا ملجأ المشردين فقد كـان أبيض اللون فيما سبق لكنـه الآن صار رماديًا ..

كان حظه سعيدًا إذ وجد (ديف) .. كان يجلس هناك مع صديقين يحاولان أن يرسما على قطع كبيرة من الورق المقوى ، وكأنهما تلميذان فى الحضانة يحاولان رسم شجرة كى يظفرا بنجمة من المعلمة ..

ـ « مرحبًا (ديف) .. »

نظر (ديف) لأعلى ورسم ابتسامة أظهرت ما بقى من أسنانه ، ثم هتف :

ـ « مرحبًا مستر (بيلز) .. هيه يا رفاق ! رحبوا بالمستر (بيلز) .. إنه محام ! »

ـ « هل معك ربع ؟ »

قال (سام) وهو ينظر إلى الرجلين :

ـ « فى الحقيقة أنا أتاجر بالعقارات .. »

راح أحد السكيرين يترنم بأغنية بذيئة فتجاهله (سام) وسأل (ديف) عن الكتابين ..

ـ « أنا آسف .. لم أر أية كتب .. صدقني »

ـ « أنا أصدقك يا (ديف) .. »

فكر (سام) فيما إذا كان هؤلاء القوم فى نادى الروتارى يعرفون بوجود مخلوقات كهذه ؟ يعرفون بوجود (شارع الزاوية) ؟ وماذا يقول الشاعر (سبنسر مايكل) الذى اقتبس منه القصيدة لو رأى هؤلاء ؟ هل كان يتكلم عن (اللمسة البشرية التى هى أهم شىء فى العالم) ؟

ـ « هل أخذت الأوراق من بيتى لمركز إعادة تدوير المخلفات ؟ »

ـ « نعم سيدى »

وأدار (ديف) الورقة التى يرسم عليها فرأى (سام) صورة لامرأة تمسك بقطعة دجاج محمر .. من الغريب أنها كانت صورة جيدة .. هذا الرجل يملك الموهبة بلاشك ..وتحت الصورة كتب (شارك فى عشاء الكنيسة المنهجية من أجل الذين لا مأوى لهم) ..

قال (ديف) مفسرًا :

ـ « فى شبابى نلت منحة كاملة للدراسة فى أرقى أكاديمية فنون فى فرنسا .. لكنى رسبت فى صفى الأول .. إنها الخمر .. هكذا صرت ضائعًا بلا أمل ولا بيت »

ـ « هل هذه المرأة حقيقية ؟ »

اتسعت ابتسامة (ديف) ، وقال :

ـ « هذه (سارة) .. فتاة ممتازة .. لولاها لأغلق هذا المكان منذ خمسة أعوام .. إنها تجد المال الذى يمنعهم من هدم هذا المبنى .. إنها تطلق على من يتبرعون بالمال (ملائكة) لكنها هى الملاك الحقيقى .. وقد سمينا الشارع تكريمًا لها .. »

ثم دخل مع رفيقيه إلى البناية المتهدمة لمشاهدة حلقة (رحلة النجم Star trek) ..

٢

كاد (سام) يصل لسيارته .. ثم قرر أن يعود إلى مركز إعادة تدوير المخلفات . مشى عبر الأرض العشبية وهو يرقب قطارات البضاعة تبتعد متجهة نحو (أوماها) .. كان مرأى قطارات البضاعة يشعره بالوحشة طيلة حياته لسبب لا يعرفه .. لكنه الآن يشعر بوحدة أكثر ..

كان المكان مغلقًا فقرر العودة لسيارته عندما وجد شيئًا مألوفًا على الأرض . انحنى يلتقطه فوجده غلاف

كتاب (أكثر القصائد شعبية لدى الأمريكيين) .. وعليه خاتم المكتبة .. هذا هو ما حدث .. لقد وضع الكتاب فى الصندوق ، ثم نسى أمره ووضع عليه الكثير من الصحف .. جاء (ديف) ونقل الصندوق إلى هنا .. وهكذا لم يبق من الكتاب إلا هذا الغلاف ..

ألقى بالغلاف على الأرض .. الآن لديه مهمة عسيرة يجب القيام بها .. هناك غراب يجب أن يلتهمه للعشاء !

* * *

الفصل السادس

المكتبـة

١

فى طريقه للمكتبة تذكر حقيقة لم يفكر فيها من قبل .. لقد استعار كتابين وفقدهما .. كل ما عليه هو دفع ثمنهما .. وخطر له أن (أرديليا) نجحت فى جعله يفكر كصبى فى الصف الرابع أكثر مما توقع .. عندما يفقد الصبى كتابًا فإنه ينكمش على نفسه خوفًا من شرطى المكتبة .. لا يوجد شرطى مكتبة .. هو شخص بالغ ويعرف هذا .. لا يوجد إلا موظفة بيروقراطية تبالغ فى أهمية نفسها .. وتنسى أن دافعى الضرائب مثله هم الكلب الذى يهز الذيل لا العكس ..

كان متجهًا نحو المكتبة عندما توقف فى منتصف المسافة .. لقد زارته رؤيا معينة .. تلك المرأة التى كانت تلتهم الدجاج وبدت مألوفة فى الصورة التى رسمها (ديف) .. إنها (ناعومى هيجنز) ..

٢

على باب المكتبة مر بفتيين يلبسان جاكيتين جلديين ، ولحق بالباب قبل أن ينغلق ..

دخل الردهة , فكان أول ما أثار دهشته أن تلك اللوحة التى تقول : (الصمت) قد اختفت وصارت مكانها صورة لـ (توماس جيفرسون) مع عبارة له تقول : لا أستطيع الحياة من دون كتب ..

هذا غير انطباعه عن المكتبة بالكامل .. هذه العبارة تمنحك نوعًا من الترقب والسرور .. يشعرك بما يشعر به الجائع عندما يصل الطعام ..

فجأة تصلب (سام) ، وقد رأى ما رآه ..

كانت الإضاءة ساطعة .. لكن هذا كان جزءًا من التغييرات .. إن السقف منخفض ولم تعد هناك تلك السلالم الشامخة المتحركة .. المجلات موضوعة بطريقة مغرية على منضدة جميلة الشكل .. اختفت لافتة : (الإعارة سبعة أيام فقط) لتحل مكانها لافتة تقول : (اقرأ الكتب الأفضل مبيعًا لتظفر بالمتعة) ..

اختفت النوافذ العلوية وحل محلها سقف مودرن معلق .. راح الناس ينظرون لـ (سام) فى حيرة وبعضهم ضحك خفية .. لكن (سام) لم يشعر بشىء لأنه كان ينظر للسقف فى ذهول حيث وقف وسط القاعة الرئيسة ..

ماذا فى ذلك ؟ لقد ركبوا سقفًا متحركًا وأجروا تجديدات .. المرأة لم تقل هذا .. لكن لماذا تقول لك ؟ أنت لست عميلاً مهمًا أو منتظمًا .. لكن برغم هذا لا يصدق أن كل هذه التغييرات تمت فى أسبوع .. أنت فى المكتبة الخطأ ! فكر فى هذا لثانية ثم تراجع كما يثب القط فوق ظل .. لا يمكن أن تشيد البلدة مكتبتين .. دعك من أنه لن يضل الطريق ..

هنا فطن إلى أن كل واحد فى المكتبة كف عما يقوم به وراح ينظر له .. هكذا اتجه لرف المجلات وانتقى عددًا من (أمريكا اليوم) وراح يقلب فيه باهتمام مفتعل ..

عندما نسيه الناس ترك المجلة واتجه إلى قسم الأطفال .. على الباب لم يجد (ذات الرداء الأحمر) فى لحظة رعبها ، بل وجد أولاد أخى (دونالد دك) بالمايوهات يسبحون فى بركة كتب ..

بالداخل وجد أن كل شىء تغير .. وفى ركن المكان وجد فتى وفتاة من طلبة الكليات ينظران له بدهشة .. قال لنفسه : كن حذرًا .. لا .. كن طبيعيًا .. لقد بدأ الجميع ينظر له الآن باعتباره نصف مجنون ..

هكذا سألهما فى أدب :

- « أنا أبحث عن أمينة المكتبة .. »
- « للأسف مستر (برايس) لا يأتى هنا مساء السبت »

تذكر ما قالته (ناعومى) من قبل ، فعاد يسأل :

- « أبحث عمن تدعى مس (أرديليا لورتز) .. »

قالت الفتاة فى أدب :

- « لابد أنك على خطأ .. لا أحد هنا يدعى (لورد) .. »
- « (لورتز) .. »

بدت عليهما الدهشة ، وكان يرغب فى أن يصر على أنه قابلها هنا منذ ثمانية أيام ، لكنه عدل عن هذا .. هكذا رسم ابتسامة على شفتيه ، وقال :

- « سامحانى .. إننى أمر بيوم من تلك الأيام »
- « بالفعل .. »

قالتها الفتاة ففكر : إنها تحسبنى مجنونًا .. لكن هل تعرف ؟ أنا لا ألومها على ذلك ..

قال باسمًا :

ـ « أنا (سام بيبلز) .. »

ومد يده يصافحهما فمدت الفتاة يدها له ، وقالت :

ـ « (سنثيا بيريجان) .. وهذا (توم ستانفود) .. أنا و(توم) ندرس فى كلية (شابلتون) .. أنا أعمل هنا منذ ثلاثة مواسم دراسية . »

ـ « وهذا السقف المعلق هنا منذ زمن ؟ »

ـ « لا أعرف أن هذا اسمه .. لكن .. نعم .. هو هنا منذ أتيت أنا .. »

هنا قال الفتى :

ـ « نحن نغلق غدًا .. يمكنك أن تأتى يوم الإثنين لتقابل مستر (برايس) . »

ـ « بالفعل سأفعل هذا .. »

ـ « كنا نتمنى لو نستطيع مساعدتك .. »

ـ « أنا أيضًا تمنيت هذا .. »

٣

كان بخير حتى ركب السيارة .. هنا تخلت عنه كل عضلاته واضطر للتمسك بسقف السيارة كى لا يسقط على الأرض .. وتهالك خلف عجلة القيادة وراح يتنفس بصعوبة متوقعًا أن يفقد الوعى .. ماذا يحدث هنا ؟ يشعر بأنه فى حلقة من مسلسل (رود سيرلنج Serling) القديم (منطقة الشفق) .. لكن الغموض يفقد أية متعة له عندما يتعلق الأمر بك ..

الناس تدخل وتخرج إلى ومن المكتبة وكل شىء يبدو طبيعيًا ..

كف عن التفكير .. غدًا فى ضوء الشمس ستجد منطقًا لهذا كله .. أدار محرك السيارة لكنه ظل يفكر فى الأمر طيلة الليل ..

* * *

الفصل السابع

أهوال الليل

١

وقف مذعورًا أمام جهاز الرد على المكالمات .. هناك مكالمة مسجلة فهل هى منها ؟ من الصف الرابع إلى مستشفى المجانين .. هذا هو طريقه .. تمالك أعصابه وأدار الشريط فسمع (جو المدهش) يشكره على قيامه بالخطبة بدلاً منه ، ويخبره أن عنقه التوى ولم يهشم .. ثم يهديه مجموعة من التذاكر المجانية ..

معنى هذا أن مكالمة (جو) قد مسحت الشريط .. وهذا يعنى أن آخر أثر يثبت أن المرأة موجودة قد اختفى .. لكن ماذا عن كارنيه المكتبة ؟ ألا يحمل توقيع المرأة ؟ هنا تذكر أنه لن يجده لأنه كان قد وضعه فى كتاب (أكثر القصائد شعبية) ..

هو لم يجن .. لكن لو لم يجد تفسيرًا فلسوف يحدث هذا ..

هكذا جلس ووضع يده على رأسه .. وشعر ببدايات الصداع ..

٢

كان يسخن على الموقد علبة من الحساء أملاً فى أن تزيل الصداع عنه ، عندما خطرت بذهنه (ناعومى هيجنز) .. (هيجنز) .. الفتاة التى تشبه اللوحة التى رسمها (ديف) .. وتساءل عما إذا كانت لها حياة سرية تحت اسم (سارة) ..

(ناعومى) بدا أنها تعرف (أرديليا) .. لقد بدأت الكلام عنها عندما دق جرس الهاتف .. هذا مؤكد .. هناك ثقب فى رأسه يمكنك أن تلقى فيه أشياء وتنتظر حتى تسمع صوت الـ (سبلاش) ..

حاول الاتصال بها لكن أمها غير الودود قالت له إنها بالخارج .. وإنها ستكون فى الكنيسة غدًا .. لا تترك مذكرات لها لأنى سأنام الآن ولا أستطيع الكتابة بسبب التهاب المفاصل ..

تناول الحساء ثم قرر أن ينام .. كان بحاجة إلى رحلة لعالم النسيان ..

لكن النوم لم يأت .. كان يشعر بأنه موشك على فقدان عقله ، وقد أثارت هذه النقطة رعبه .. كان يرى

فى السينما رجلاً يمسك برأسه ، ويقول للطبيب النفسى : يبدو أننى سأفقد عقلى يا دكتور .. هكذا كان يحسب فقدان العقل والصداع شيئين متقاربين ..

لم يكن الأمر كذلك .. بل هو أقرب إلى أن تمد يدك لتهرش جزءًا من جسمك فتجد بدلاً منه ورمًا سرطانيًا ضخمًا ..

لقد بدأ يشك فى كل شىء .. موضوع (سارة) التى تحسن للمنبوذين وهى فى الحقيقة (ناعومى) .. النمو المذهل فى أعماله .. هل كل هذه تهيؤات ؟!

بعد منتصف الليل ساءت الأمور أكثر .. لقد راح يفكر فى (أرديليا لورتز) .. يتصورها فى الخزانة أو تحت الفراش .. رآها تضحك فى الظلام وشعرها مفكوك حول كتفيها كأنه جمة مفزعة .. تمد يدها طويلة الأظفار نحوه .. تصور كيف ستصير عظامه (جيلى) لو أنها بدأت تهمس له ..

أنت أضعت الكتب يا (سام) فلم يعد لدى إلا شرطى المكتبة ..

هنا صار النوم مستحيلاً .. مد يده يضىء المصباح بجوار الفراش ..

لا تقلق .. فلن تلبث أن ترى شرطى المكتبة .. وربما الوحش (جورجو) كذلك .. لم لا ؟؟ لا توجد مشاكل فى الهلوسة بالنسبة لشخص تخيل زيارة كاملة للمكتبة ومقابلة مع امرأة لا وجود لها ..

بحث عن أقراص منوم فلم يجد لذا قرر أن يرتجل .. سخن بعض اللبن على الموقد ثم صبه فى كأس .. وأضاف له بعض البراندى كما رأى فى الأفلام . ذاق رشفة من السائل الكريه ثم ألقاه فى الحوض .. الساعة الواحدة صباحًا .. ما زال الوقت طويلاً حتى الصباح .. وقت طويل من تخيل (أرديليا) وشرطى المكتبة يتسلقان الدرج والسكاكين بين أسنانهما .. أو سهام .. سهام طويلة سود .. لماذا سهام ؟ لا يعرف ..

قال لنفسه إنه لا يريد أن يعرف .. وعاد للفراش ..

٣

ترك المصباح مضاء فبدد هذا بعض مخاوفه .. وقدر أنه قد ينام قبل أن يفنى الكون أخيرًا ..

لابد أن شيئًا مما رآه حدث فعلاً .. ليست كلها هلاوس ما لم أكن الآن فى مستشفى المجانين ، ألبس القميص وأرقد فى زنزانة مبطنة ، وأتخيل أننى هنا فى فراشى .

(ناعومى) سمعت عن (لورتز) .. معنى هذا أن هناك آخرين فى البلدة سمعوا عنها .. ليس الطلبة فى (شابلتون) ولكن كبار المواطنين ..

عند هذه النقطة عبر الحاجز الواهى بين النوم والصحوة .. وغرق فى الكوابيس ..

عندما صحا من النوم كان غارقًا فى العرق وقد انتزع أغطية الفراش جميعًا من موضعها .. وكانت الساعة جوار الفراش تقول ٤٥ : ٥ .. كان رأسه يؤلمه بشدة .. نهض للحمام وقضى حاجته .. ثم عاد للفراش ورقد بانتظار انتهاء تأثير الكابوس ..

* * *

الفصل الثامن

شارع الزاوية

١

وصل لشارع الزاوية فى منتصف الثانية عشرة .. ولم يندهش لرؤية سيارة (ناعومى) الداتسون الزرقاء تقف هناك . وقف خلفها واتجه إلى البناية العتيقة التى يتخذها المشردون مأوى ، ودق الباب .. فلما لم يرد أحد عليه فتحه .. كان المكان خاليًا ما لم يعتبر الهاتف على الجدار ثالثًا ..

كان أول باب على اليسار مفتوحًا وقد كتب عليه : (أصدقاء بيل يدخلون من هنا)! وتحتها لافتة أخرى بدت سخيفة بلا معنىٍ بالنسبة لـ (سام) .. كانت تقول : ـ الوقت يستغرق وقتًا !

كان الباب يطل على غرفة رئيسة بها أريكة ومقاعد محطمة تم إصلاح بعضها بالـ (سلوتيب) ..

واصل (سام) المشى شاعرًا بأنه متطفل .. رائحة المكان كريهة حتى قدر أن شخصًا مات هنا منذ زمن

أو أن شخصًا سيموت قريبًا . كان هناك مطبخ عتيق به حوض صدئ .. وثلاجة متداعية .. ومن النافذة الخلفية رأى حديقة لا بأس بها .. لا تحوى الكثير لكن سكان شارع الزاوية اعتنوا بها ..

كان هناك نحو نصف دستة من سكان الشارع يجلسون فى مقاعد هناك فى تلك الحديقة .. استطاع أن يميز (ناعومى) و(ديف) والرجلين اللذين قابلهما أمس (لوكى) و(رودلف) .. ثم أدرك أنه يرى معهم أكثر محامى البلدة ثراء (بيرت إيفرسون) .. و(إلمر باسكين) رجل المصرف الذى لم يحضر خطبته فى نادى الروتارى لكنه اتصل به يهنئه فيما بعد .. وهب النسيم يطير الستائر التى تحيط بالنافذة التى يقف خلفها (سام) ..

كل هذا غريب .. أن تجلس (ناعومى) مع سكيرى البلدة باسم مستعار .. وأن يرى أغنى رجل مصارف وأغنى محام هنا كذلك .. كل هذا يبدو كأنه حلم ..

وقف رجل يلبس سترة خضراء طالبًا الكلمة ؛ فسمح له (رودلف) بذلك :

ـ « اسمى (جون) .. وأنا مدمن كحول »

تراجع (سام) عن النافذة وقد بدأ يشعر بأنه ليس متطفلاً فقط بل هو جاسوس كذلك .. واضح أن هذه جلسة علاج جماعى لجمعية AA (مدمنون مجهولون) التى تعالج المدمنين سرًا .. أمها تعتقد أنها فى اجتماع للكنيسة لكنها فى الواقع هنا .. كيف كنت أستطيع معرفة أنها مدمنة كحول تحاول الشفاء ؟ هل أنا أقرأ الأفكار؟ ربما لهذا تحاشت كل عروضه للتقرب منها ؛ لأنها تخشى أن يعرف ..

وهل يعنى هذا أن رجل المصرف والمحامى يعانيان ذات المشكلة الخطرة ؟ هو فقط يعرف شيئًا واحدًا .. إن حرف A يعنى Anonymous (مجهول) .. وهذا يعنى أن الرجلين يمكن أن يسحقاه لو عرفا أنه عرف .. وهما قادران على تدمير أعماله الصاعدة فى هذه البلدة ..

يجب أن يرحل فورًا .. هو لا يرغب البتة فى التنصت على هؤلاء القوم .. ولا معرفة المزيد ..

هكذا اتجه إلى باب الخروج ، وكتب مذكرة لـ (ديف) :

(ديف) .. مررت عليك بالصدفة فلم أجد أحدًا . حسبت أنه بوسعك أن تساعدنى بصدد امرأة تدعى (أرديليا لورتز) .. أريد معرفة كل شىء عنها .. هلا اتصلت بى هذه الليلة ؟ رقمى هو ٥٥٥٨٦٩٩ .. شكرًا »

وضع الورقة فى مظروف ووضعه فوق جهاز التليفزيون .. فكر فى ترك ربع دولار ثمن المكالمة مع المظروف لكنه عدل عن ذلك حتى لا يعتبرها (ديف) إهانة .

وعاد إلى سيارته مسرورًا لأن أحدًا لم يره ..

٢

عند العصر تغلب إرهاق البارحة على (سام) فبدأ ينعس على الأريكة وهو يشاهد مباراة (بيزبول) مملة ، عندما دق جرس الهاتف ؛ فنهض شاعرًا بعدم الاتزان ..

كان هذا (ديف) يسأله :

ـ « ألم تقل إنك تريد معرفة شىء عن تلك المرأة ؟ »

قالها بلا تمهيد .. وكان صوته يرتجف كأنما فقد السيطرة على نفسه ..

ـ « ليس من مصلحتك مجرد التفكير فيها !! »

زال النعاس عن عين (سام) على الفور .. ما شأن هذه المرأة ؟ الناس يتعاملون معها إما كأنها الشيطان أو كأنهم لم يسمعوا عنها قط .. من هى بالضبط ؟

ساد صمت طويل حتى كان ليعتقد أن الخط قطع لولا صوت تنفس (ديف) المهشم المتعب ..

عاد العجوز يتكلم :

ـ « مستر (بيلز) .. أنت كنت طيبًا معى وكذلك الآخرون الذين ساعدونى على البقاء حيًا برغم أننى غير واثق مما إذا كنت أريد ذلك .. نصيحتى لك ألا تتكلم عنها معى ولا مع أى واحد آخر »

ـ « هذا يبدو تهديدًا »

ـ « لا .. ليس كذلك .. أنا أفعل ما كنت سأفعله لو رأيتك تمشى نحو بئر والعشب نام بحيث لا ترى قدميك .. لا تتكلم عنها ودع الموتى موتى كما هم ! »

دع الموتى موتى كما هم .. لم يثر هذا دهشته .. كل شىء باستثناء الرسالة على آلة الرد على المكالمات يدل على الشىء ذاته : (أرديليا لورتز) ليست فى عالم

الأحياء .. هو وحده من بين الأحياء تحدث معها .. لا .. بل أجرى صفقة معها ودفع لها دولارين ..

لكن هذا لا يمنع من أن يصير جلده كجلد الإوزة ، وأن تسرى قشعريرة على الطريق السريع الأبيض فى عموده الفقرى ..

ـ « هل معنى هذا أنها ميتة ؟ »

كان صوت (ديف) أقرب للجنون الآن :

ـ « لا أريد الكلام عن هذا يامستر (بيلز) .. أرجوك !! »

قال (سام) لنفسه : دعه فى حاله .. ألا ترى أنه يعانى ما يكفيه من متاعب ؟

هنا تذكر شيئًا آخر فسأل الرجل :

ـ « رأيت فى المكتبة ملصقًا يمثل طفلاً خائفًا يصرخ من زجاج سيارة .. لقد عرفت أسلوبك فى الرسم على الفور .. فهل ..؟ »

صرخ الرجل :

ـ « انس الموضوع ! أرجوك أن تنسى الموضوع فلم يكن فى يدى شىء !! »

وابتعدت صرخاته ؛ إذ أخذ أحدهم السماعة منه ، ثم جاء صوت (ناعومى هيجنز) تقول :

ـ « دعه وشأنه .. ألا تستطيع أن ترحمه أيها الرجل المخيف ؟ »

ـ « (ناعومى) . أنا .. »

ـ « ما دمت هنا فاسمى (سارة) .. لكن كلا الاسمين يكرهانك .. ولن أضع قدمى فى مكتبك ما حييت ! »

قال لها ، وأعصابه تفارقه :

ـ « لماذا أرسلتينى للمكتبة يا (ناعومى) ما دمت لا تريدين لى أن ألقاها ؟ لماذا ؟ »

دوت شهقة من الطرف الآخر .. ثم وضعت السماعة ..

هكذا ظل فى المكتب حتى التاسعة والنصف يدون اسمًا تلو الآخر على نفس المفكرة التى كتب فيها خطاب الروتارى . إن ستة أعوام فترة طويلة لكنها لم تعد كذلك .. كأنه أمضى فى البلدة يومًا واحدًا لا أكثر .

يريد من يجيب عن أسئلته بوضوح بصدد (أرديليا لورتز) .. لكنه لا يجد صديقًا حميمًا بما يكفى ..

لم تكن (أرديليا) شبحًا فحسب .. كانت شبحًا داخل شبح .. فالمكتبة لم تكن ذات المكتبة .. كان الأمر كالسفر عبر الزمن .. لقد دخل المكتبة العتيقة كما كانت منذ أعوام وهذا يفسر غرابتها ..

★ ★ ★

الفصل التاسع

شرطى المكتبة

كان نومه هادئًا بلا كوابيس ، وفى الصباح جاءته فكرة تحت (الدش) من طراز الأفكار التى تواتيك حينما يستريح جسدك ، لكن عقلك لم يفق بعد لتشغله القاذورات اليومية . لم تكن المكتبة هى المكان الأوحد للمعلومات خاصة إذا كانت معلومات محلية ..

ـ « الجريدة الرسمية ! »

وصرخ ووضع رأسه تحت الماء ليغسل الصابون ..

خلال دقائق كان فى الطابق السفلى يشرب القهوة وبدأ يكتب فى القائمة :

١ـ من هى أرديليا لورتز ؟

٢ـ ماذا فعلته أرديليا لورتز ؟

٣ـ هل جددت مكتبة المدينة ؟ متى ؟ صور ؟

هنا دق جرس الباب فنظر للساعة .. إنها الثامنة والنصف .. سوف يقصد الجريدة فى العاشرة موعد القهوة .. بحث عن عملة فى جيبه من أجل بائع الصحف، واتجه للباب الخلفى بينما الجرس يدق ثانية ..

ـ « أنا قادم يا (كيث)! لا تحدث ثقبًا فى الـ ... .. »

لكنه وجد أنه ينظر لشىء أكبر من (كيث) من خلال النافذة المغطاة بالستار الخاصة بالباب. شعر بقشعريرة .. لا حاجة له لرؤية الوجه فحتى من هنا يدرك الشكل العام للواقف بالخارج .. والمعطف .. نزع يده عن المقبض لكنه تأخر لأن اللسان غادر القفل .. وفى اللحظة التالية دفع القادم الباب ليفتحه. وهنا سقط (سام) للوراء ودخل شرطى المكتبة.

دخل ببطء كأن عنده كل الوقت فى العالم .. وفى يده كانت الجريدة ..

ـ « جئتك بالجريدة .. كنت سأدفع للولد بقشيشًا لكنه خاف وجرى .. »

كان صوته بعيدًا كأنه يتكلم من وراء حاجز زجاجى .. تراجع (سام) وقال لنفسه: أنا أتخيل هذا .. هذا كابوس مخيف لا أكثر ..

لكنه لم يكن كابوسًا .. كان مخيفًا لكنه ليس كابوسًا ..

كان سقف بيت (سام) عاليًا لكن شرطى المكتبة اضطر لأن يحنى رأسه .. معنى هذا أن طوله يتجاوز مترين .. كان جلده أبيض ووجهه جامدًا يدل على أنه لا يفهم الحب ولا الرحمة .. عيناه أقرب لقطعتى عملة ثقبتهما طلقات الرصاص .. والأسوأ أن (سام) كان يذكر انه رأى هذا الوجه .. هناك ندبة على حاجز الأنف تمتد لما تحت العينين .. السهم الأسود .. (ر. ل. ستيفنسون) .. ما الذى ذكره بهذه القصة؟ رائحة الريسوس هذه .. من أين جاءت؟

قال الشرطى بصوت عميق:

ـ « تعال معى يا بنى .. فأنا شرطى .. »

إنه يشبه الرجل فى الملصق أو لعله هو بنفسه .. وسرعان ما بلل (سام) سرواله .. لكن هذا بدا بلا أهمية .. المهم أن (سام) يعرف هذا الوجه .. باب فى مؤخرة وعيه يحاول جاهدًا أن ينفتح .. لكن لا وقت لهذا .. إنه يتراجع .. ينكمش على نفسه .. لم يفكر فى الهرب .. مستحيل .. نظر للأرض ودعا الله أن يرفع رأسه فيجد الشخص قد مضى ..

ـ « انظر لى ! »

ـ « لا .. »

صرخ (سام) فى ذعر .. وبكى .. مد الشرطى يده فى معطفه وأخرج ملفًا جلديًا .. التمعت شارته التى تبدو كنجمة متعددة الرءوس فى ضوء الصباح ..

ـ « لديك كتابان يخصان المكتبة »

ـ « لقد فقدتهما ! »

قالها وهو يبكى .. لم يستطع الكذب على الرجل .. لقد كان كله قوة .. كله سطوة .. كان كله قاضيًا وجلادًا ..

ـ « أنا .. أنا .. »

ـ « لا أريد سماع أعذارك »

ومد يده لجيب معطفه وأخرج سكينًا لها نصل طويل حاد ، وقد عرفها (سام) على الفور .. إنها فتاحة صناديق .. هناك واحدة منها فى كل مكتبة فى الولايات المتحدة ..

ـ « سأمهلك حتى المساء .. »

وانغرس طرف السكين فى حنجرته .. وانحدرت قطرة دم هناك .. ثم عادت السكين لمعطف الرجل ..

ـ « عندما أعود فمن الأفضل أن تجد ما فقدته .. وهناك شىء آخر .. أنت تسأل أسئلة .. لا تفعل هذا .. تذكر أننى أراقبك .. »

ـ « لن أفعل .. لن أفعل .. »

استدار الرجل ولم يلق أية نظرة على (سام) .. توارى عبر ضوء الشمس ولم يلق نظرة أخرى على (سام) .. لاحظ (سام) شيئًا مرعبًا .. الرجل لا ظل له ..

فكر (سام) فى غلق الباب لكن قواه تخلت عنه وغاب عن الوعى ..

* * *

الفصل العاشر

بالترتيب الزمني

١

سألته موظفة الاستقبال :

- « هل لى أن أساعدك ؟ »

وأعادت النظر إلى الرجل الذى دنا منها .. فقال لها (سام) :

- « أريد أن أراجع بعض النسخ القديمة من الجريدة الرسمية .. »

- « هذا ممكن لكن اسمح لى .. هل أنت على ما يرام ؟ أنت شاحب جدًا .. »

- « ربما أنا على وشك الإصابة ببرد .. »

- « رأيت صورتك فى الصحيفة لكن وجهك كان مختلفًا .. أنا (دورين مكجيل) .. »

ومدت يدًا مكتنزة تصافحه .. واقتادته إلى البدروم حيث ثلاثة أجهزة ميكروفيلم .. شعر بأن المكان يشبه المشرحة وكذلك كان اسمه فعلاً .. كان كل ظل يثير هلعه ثم تذكر أن شرطى المكتبة لا ظل له .. هكذا هدأ قليلاً ..

قالت وهى تشير إلى الجهاز :

- « هكذا يتحرك الميكروفيلم بالترتيب الزمنى .. لو أردت شيئًا فاطلبنى .. »

وصعدت الدرج فقاوم رغبة عاتية كى يلحق بها .. برغم حداثة المكان فقد كان مجرد مكتبة أخرى من مكتبات مدينة (جانكشان) اللعينة ، وكانوا يطلقون عليها اسم (المشرحة) ..

الشرطى طلب منه ألا يسأل أسئلة ، وهو قد فعل هذا .. لم يسأل .. فهل يعتبر مجيئه لهنا إخلالاً بالاتفاق ؟

٢

كان عليه أن يختار تاريخًا يسبق ١٩٨٤ أى قبل قدومه للبلدة ، لأنه لو تمت تجديدات للمكتبة بعد هذا التاريخ للاحظها .. ربما عليه أن يبحث قبل عشرين سنة على الأكثر .. السقف لم يبد منظره أقدم من هذا .. فقط لو استطاع أن يضيق النطاق أكثر ، لكنه لا يستطيع التفكير ! ما حدث صباح اليوم أفسد قدرات عقله كما تفسد البقع الشمسية الإرسال التليفزيونى .

انتقى أول مجموعة من الميكروفيلم وقام بتشغيل الجهاز ، وهى عملية يمكن لطفل فى السابعة أن يقوم بها ، لكنه كان مرتبكًا .. فوجئ أن أول ما قرأه كان أعداد إبريل ١٩٨١ من الجريدة .. هل هذه صدفة ؟ لماذا اخترتها بالذات ؟ وعلى الصفحة الأولى قرأ بخط أحمر أن أسرة مكتبة (جانكشان) تذكر المواطنين بأن عيد المكتبة يمتد من ٦ إبريل إلى ١٣ إبريل !

ربما انتقى هذا السجل بلا وعى .. على كل حال استطاع أن يرى صورة أمين المكتبة (برايس) وخلفه المكتبة .. كان السقف المعلق مثبتًا .. معنى هذا أن

التجديدات تمت قبل عام ١٩٨١ .. ولحسن حظه وجد فى نهاية العدد مقالاً مهمًا لأمين المكتبة (برايس) عن تاريخ المكتبة خلال مائة عام .. راح يقرأ المقال بلهفة لكن لا .. لم ير اسم (أرديليا لورتز) .. لكنه وجد أن تاريخ تجديد المكتبة هو العام ١٩٧٠ .. كانت هناك امرأة باسلة تولت أمر المكتبة بعد أيام الكساد الاقتصادى حتى عام ١٩٥١ ثم تولاها من يدعى (لافين) .. بعد هذا تسلم (برايس) المكتبة عام ١٩٦٤ .. هناك ثغرة ما .. ثغرة لم ينسها الرجل ولكن تجاهلها .. من الممكن أن نتصور أن هناك امرأة اسمها (أرديليا) تولت أمر المكتبة بعد (لافين) .. لقد فعلت ما جعل (برايس) يتحاشى ذكرها برغم ولعه الشديد بالتفاصيل ..

لابد أنها قتلت .. هذا هو الشىء الوحيد الذى ...

وفجأة هبطت يد على كتف (سام) ..

٣

لو صرخ لأثار هلعها لكنه لم يفعل .. فقط خرج الهواء من صدره كأنه أوكورديون داس عليه فيل .. نظر للوراء وقد شعر بأن أعضاءه لينة كالمكرونة ، فقط ليجد (ناعومى هجنز) ..

- « (سام) ؟ هل هذا أنت ؟ »

حاول أن يقول شيئًا لكن الغرفة راحت تتراقص ، وأدرك أنه سيفقد وعيه .. كانت تنظر له برعب لا يوصف وتردد :

- « ماذا دهاك ؟ »

ثم وهى تتراجع :

- « ذهبت للمكتب فقالوا لى إنهم يعتقدون أنك هنا .. أردت أن أعتذر لك .. فكرت أنك كنت تتسلى علىَ (ديف) لكنه قالَ إن هذا لا يصدر عنك .. وإنك كنت دومًا لطيفًا معه .. »

ثم فكرت قليلاً وقالت :

- « (سام) .. أحسب أن عليك أن تفهم شيئًا عنى وعن (ديف) .. أحسبك تعرف موضوع (ديف) لكن بصددى أنا .. »

- « أعتقد أننى أعرف .. لقد رأيتك من النافذة فى (شارع الزاوية) .. »

- « نعم .. فهمت . لكن ماذا حدث لشعرك ؟ »

شعرى ؟ كانت تخرج له مرآة صغيرة من حقيبتها لكنه كان قد خمن ما هنالك قبل أن يراه .. منذ الثامنة والنصف صباح اليوم صار شعره كله أبيض ...

٤

فى سيارتها الداتسون أثناء العودة من المكتبة سألته عما دهاه .. إن شعره لم يبيض فقط بل يبدو كأن وجهه تقدم فى العمر عشرين عامًا .. قال لها :

- « ما أريد معرفته هو من هى (أرديليا لورتز) .. أعنى ما أقول فعلاً .. »

أوقفت السيارة وقالت وهى تنظر له :

- « إذن أنت لم تكن تمزح ؟ »

- « لم أكن أمزح .. »

- « لكن هذه المرأة ميتة .. »

- « أعرف هذا كما أعرف أننى أريد معرفة ما تعرفين عنها .. »

أدارت المحرك وقالت :

- « لا أعرف الكثير .. كنت فى السابعة عندما ماتت .. معظم ما أعرفه سمعته من ثرثرة الناس .. كانت تنتمى إلى الكنيسة المعمدانية فى (بروفيربيا) لكن أمى لاتتكلم عنها .. يعتبرونها لم توجد قط .. »

قال لها :

- « هذا ما فعله مستر (برايس) فى مقاله عن المكتبة الذى كنت أطالعه عندما وضعت يدك على كتفى ، وأخذت ١٢ عامًا من حياتى .. »

قالت له :

- « كانوا يتكلمون عنها فى مجموعة (المدمن المجهول) .. لقد ظهرت فى البلدة حوالى عام ٥٧ أو ٥٦ ..

عملت فى المكتبة .. ثم مات المدير (لافين) فجأة بعد عامين .. نوبة قلبية أو فالج .. لذا تولت (أرديليا لورتز) الوظيفة .. يقولون إنها كانت جيدة حتى فعلت ما فعلته .. لقد قتلت طفلين ثم انتحرت .. عام ١٩٦٠ فقد طفلان وبحثوا عنهما . لم يفكر أحد فى المكتبة لأنها كانت مغلقة فى ذلك اليوم .. وجدوهما فى المكتبة فى اليوم التالى إذ جاء موعد فتحها فلم تفتح .. هناك نوافذ فى سقف المكتبة .. لقد صعدت هى على أحد السلالم العملاقة هناك وعلقت حبلاً فى نافذة وشنقت نفسها بعد ما قتلت الطفلين »

- « فهمت .. وكيف قتلتهما ؟ »

- « لا أعرف .. لم يقل أحد شيئًا عن هذا . لكن لابد أن المنظر كان بشعًا .. »

- « بالتأكيد .. »

- « والآن ماذا حدث لك ؟ »

- « أولاً أريد أن أقابل (ديف) .. »

- « أنا آسفة لما حدث أمس . سأبحث عن (ديف) فى المأوى لكنك لن تضايقه »

ـ « (ناعومى) .. إنه جزء مما حدث لى »

ـ « مستحيل »

قالتها بنغمة (دعنا ننهى المناقشة) .. وأضافت وهما يقتربان من (شارع الزاوية) :

ـ « حاول أن تفهم الأمر .. لو عاد (ديف) لتعاطى الكحول لمات .. تذكر هذا .. لا أعرف إن كان أهل الأرض قادرين على فهم ما أقول »

ـ « أهل الأرض ؟ ماذا تعنين بهذا ؟ »

ـ « الناس الذين لا يشربون الخمر ولا توجد عندهم مشاكل بصدد المخدرات أو الأقراص المهدئة أو أدوية السعال .. الناس القادرون على إصدار الأحكام .. »

قال لها :

ـ « أما أنا فمشكلتى هى كتابان فقدتهما وقد انتهيا وسط هذه المخلفات .. ولو لم يظهرا قبل منتصف الليل لظفر بى شرطى المكتبة .. عندها أستبعد أن تتبقى منى السترة التى ألبسها »

٥

فى شارع الزاوية قابلا (ديف) .. وحينما تكلم كان ينظر لـ (سام) فى ذهول ..

قال لهما :

ـ « لقد دنت نهايتى .. الخمر قضت على بنكرياسى وكبدى .. ومن الواضح اننى سآخذ إجازة أبدية قريبًا .. فقط أعرف أن هناك ذكريات معينة عشتها ، وهذه الذكريات تتعلق بامرأة اسمها (أرديليا لورتز) .. لقد خبأت هذه الذكريات فى بدروم قلبى .. ثم أغلقت بابًا عليها ثم أحكمت إغلاق الباب بالحديد وألقيت فوقه أغطية لتداريه .. أردت أن أنسى تلك المرأة وما جعلتنى أصنعه لها .. لكنك فى مشكلة يا صاحبى . هل تعرف هذا ؟ »

قال (سام) :

ـ « أعرف .. »

ـ « تعرف لكنك لا تتصور أبدًا مدى الورطة .. لهذا يجب أن أتكلم وليس لأننى أرغب فى ذلك .. أمس تذكرت وجهها وكيف تغطى بتلك الخيوط الصغيرة ، وكيف تغير فمها .. تذكرت رائحتها .. هذه القذارة يجب أن تنتهى .. »

وارتفع صوته الغاضب إلى درجة الصراخ .. ثم نظر لـ (سام) وقال :

ـ « سوف أشرح لك لكن يجب أولاً أن تحكى لى كل شىء يا مستر (بيلز) فلا تغفل شيئا .. »

ـ « سأفعل لكن بشرط .. سوف تنادينى (سام) فقط .. »

ـ « لك هذا يا (سام) .. »

ـ « حسن .. لقد بدأ كل شىء بذلك الأكروبات الأحمق ... .. »

٦

لم يتصور (سام) أن القصة بهذا الطول ، وكانت عينا (ناعومى) تتسعان كلما مضى فى القصة .. حتى عندما بلغ جزءِ ملصق (ذات الرداء الأحمر) قال (ديف) :

ـ « هذا هو الملصق الوحيد الذى لم أرسمه ، لكنها كانت معجبة به بشكل خاص .. »

واصل (سام) السرد حتى بلغ الجزء الخاص بشرطى المكتبة .. هنا انهارت قواه وبدا موشكًا على البكاء وراح يرتجف ..

قال لـ (ناعومى) :

ـ « هل لى فى كوب من الماء ؟ »

ـ « طبعًا .. »

وقبل أن تذهب لتحضر الماء من داخل البناية لثمته على خده .. كانت شفتاها دافئتين ناعمتين ، وهمست فى أذنه بكلمتين مقدستين :

ـ « أنا أصدقك »

٧

أمسك (سام) كوب الماء بيديه كى لا ينسكب .. وشرب جرعة كبيرة ثم سأل (ديف) :

ـ « هل تصدقنى أنت أيضًا ؟ »

ـ « نعم .. »

قالها (ديف) بلهجة من فرغ من أمر ما .. وأدرك (سام) أنه صادق فهو قد عرف (أرديليا) وواضح من وجهه أنها لم تكن معرفة طيبة ..

ـ « شرطى المكتبة الذى رسمته لها كان بلا ندوب على وجهه .. أنت أضفت هذه الندبة من ذكرياتك

الخاصة وهذا يعنى أن عندك نموذجًا لشرطى المكتبة .. أما النجمة متعددة الرءوس كما تسميها ، فقد رأيتها فى المكتبة .. اسمها (صليب مالطة) وكان الفرسان الصليبيون يضعونها على صدورهم أيام الحملات الصليبية .. المفترض أنه كان لها تأثير سحرى .. والآن يا بنى دعنى أحك لك قصتى .. لم أحكها من قبل قط ولن أحكيها ثانية أبدًا .. لذا دعنى أتكلم »

★ ★ ★

الفصل الحادى عشر

قصة ديف

١

لم أكن (ديف دنكان) السكير منذ ولدت .. فى أوائل الخمسينات كان هناك (ديف دونكان) البسيط الذى يحبه الناس .. كنت عضوًا فى ذات نادى الروتارى الذى خطبت أنت فيه .. ولم لا ؟ كنت رسامًا وخطاطًا .. كنت ما يسمونه هذه الأيام رسامًا جرافيكيًا لكن وقتها كان اسمى رسام إعلانات .. لم أكن قد درست .. جربت ورسبت لكن قلت لنفسى إن هناك فنانين كثيرين لم يظفروا بشهادات .. يتحدثون فى AA عن الأشخاص الذين يضعون ساقًا فى الماضى وساقًا فى المستقبل وهكذا يبولون على الحاضر .. لكن ليس بوسعى أن امنع نفسى من التفكير لو أن حياتى اختلفت قليلاً ..

كنت قويًا وغير متزوج وكان دخلى يكفينى .. كان هذا عندما جاءت (أرديليا لورتز) للبلدة .. لم تكن كما رأيتها أنت أمينة مكتبة عجوزًا .. كان شعرها أشقر

وكانت جميلة .. وكان الرجال فى بروفيريا يلاحقونها .. أعرف انهم اليوم يقولون : عرفت منذ البداية أن شيئًا على غير ما يرام يحيط بتلك المرأة (لورتز) .. لكن أؤكد لك أن الأمر مختلف .. كانوا يحومون حولها كالذباب .. وقد ظفرت بوظيفة المكتبة بعد قدومها بشهر .. بالإضافة لهذا كانت تدرس للأطفال فى مدارس الأحد .. لا أعرف ماذا كانت تدرس ولا أحب أن أعرفه الآن لكنه لم يكن الإنجيل بالتأكيد .. برغم هذا كان الأطفال يحبونها ..

هنا التقت عيناى بها .. ربما لن تصدق ما أقول لكنى كنت شابًا وسيمًا وقتها . وكانت بطنى مسطحة مثل مكواتك الحديدية يا (سارة) ..

كانت تسكن فى بيت جوار الكنيسة وكان بحاجة لطلاء من الخارج .. هكذا قابلتنى وعرضت على أن أقوم بهذا العمل . كانت تلبس ثيابًا محتشمة تناسب امرأة عجوزًا لكن لم أقل إن عينيها كانتا كذلك .. لا ياصاحبى .. لم تكن عيناها كذلك ..

ثم نظر (ديف) لـ (ناعومى) وقال :

ـ « ربما كان عليك أن تنصرفى قبل هذا الجزء .. إن القصة ستسوء بعد قليل .. »

لمست كتفه وقالت :

ـ « استمر يا (ديف) .. »

هكذا انصرفت معها لدارها تاركًا كل الشباب واقفين على باب الكنيسة ينفخون ويسبوننى .. لم يعرفوا كم هم محظوظون ! لم تكن لديها سيارة فركبنا سيارتى الفورد وانطلقنا .. تخيل شابين فى طريق (ترومان) فى ظهر يوم من أيام الصيف وسط مليون فدان من قمح العم (سام) الذهبى على جانبى الطريق .. صوت القمح الغريب برغم أنه لا يوجد نسيم .. جدى كان يقول إن هذا صوت القمح إذ ينمو ..

توقفت بناء على طلبها لأنها صاحت وهى تشير باتجاه معين : هذا هو البيت .. هل تراه ؟

هكذا نزلت معها .. فوجئت بأنها تركض وسط صفوف القمح لكنها لم تجرح ولم تؤذ عودًا .. جريت وراءها فوجدتها اختفت .. هنا سمعت صوتها من خلفى تقول :

هنا .. جريت فى ذلك الاتجاه غير مبال بتدمير القمح .. العم (سام) لن يفتقد هذه الأعواد ولن يلاحظ وجودها .. فقط لأجدها اختفت وتنادينى من اليمين ..

هكذا رحت أجرى يمينًا ويسارًا بحثًا عنها كالمجنون .. وكانت تظهر ثم تتوارى .. وأنا أدوس أعواد القمح كالثيران بينما هى لم ترهق ولم يتمزق ثوبها قط .. وفى النهاية وجدتها أمامى وقالت :

ـ « أين أنت ؟ أنا أنتظرك هنا منذ زمن .. »

٢

مشينا لبيتها .. وهناك جاءتنى بكأس طويلة فيها شفاط وورقة نعناع .. كان الطقس حارًا فشربت جرعة كبيرة .. تبًا ! كان هذا ويسكى ..أبديت انزعاجى فقالت فى سخرية :

ـ « ربما تفضل بعض الشاى المثلج ؟ »

لم أكن أشرب الخمر خاصة فى منتصف اليوم .. لكن منذ ذلك اليوم صرت أشربها وفى كل وقت تقريبًا ..

هكذا رحت أعنى ببيتها بينما عينها مستر (لافين) للمكتبة .. وكنت أمر عليها هناك كلما وجدت فرصة ..

يبدو أننى وجدت الكثير من الفرص لأن مستر (لافين) كلمنى بصراحة عن ذلك ، هكذا وعدته بأن أطلى المكتبة من الداخل على سبيل الرشوة ، كنت واقعًا تحت سحر امرأة لم تكن على الإطلاق امرأة ..

أذكر كيف علقت ملصق (ذات الرداء الأحمر) قبل وفاة مستر (لافين) بشهر .. لقد اقتادت طفلاً مذعورًا لتريه الملصق ثم سألته : هل تعرف لماذا يحدث الشىء المخيف لذات الرداء الأحمر ؟ لأنها لم ترجع كتب المكتبة فى وقتها .. كان هذا الصبى هو (مالكوم) الذى قتل بعد أعوام فى حرب فيتنام .. ورأيت الرعب فى عينيه ، وهو ينظر لى كأنه يقول : ساعدنى !!

مستر (لافين) لم يحب الملصق وقد لاحظ كيف يخافه الأطفال .. لذا دخل فى مناقشة معها حوله .. لم أسمع ما قيل لأنى كنت على السقالة فوق والصوت كان سيئًا .. لكنه قال إن هذا الملصق يخيف الأطفال .. ربما يشوه الأطفال ، وتكلمت هى عن أن هذا يساعد على تهذيب (العناصر الشاذة) .. فى النهاية اضطرت لنزع الملصق .

ليلتها كانت غاضبة وعصبية كنمر ظل صبى يضايقه فى قفصه بالعصا . عيناها حمراوان كأن مخها قد

احترق ، وفمها بدا كأنه يحاول أن يخرج من وجهها . قلت لها إن الموضوع تافه هين .. هنا . لا أعرف كيف أصف هذا .. فى ثانية كانت تقف قرب الباب وفى الثانية التالية كانت فوقى .. عيناها حمراوان وفمها متدل بشكل لا يصدق ..وصار شعرها طويلاً إلى فخذيها وقالت :

- « كف عن الكلام أيها السكير اللعين .. »

كانت أعمالى تنهار ولم أعد أفى بمواعيدى .. لكن لم يتكلم أحد عنى وعنها .. سمعتى المهنية ذهبت إلى الجحيم فى سلة مشتروات لكن لم يمس سمعتها شىء ..

بعد هذا بأسبوع توفى مستر (لافين) وقيل إنها نوبة قلبية لكنى كنت أعرف ما هو أفضل ..

لقد قالت لى وأنا ثمل :

- « قلت لك إننى سأتولى أمره يا (ديف) .. لقد بكى كالأطفال من الذعر .. »

وبدأ وجهها يتغير كأننى أراه من تحت الماء .. عندها رأيت شيئًا .. كأننى رأيت عينين حمراوين بلا أهداب وفمًا لا يغطيه لحم .. بل طبقات من مادة ما .. تتحرك ..

لحظة ثم عادت الرؤيا صافية .. عادت (أرديليا) من جديد ... تصور هلعى وأنا فى قلب الظلام وسط الريف حيث لن يسمعك أحد تصرخ ..

قالت ، وقد رأت هلعي :

- « لا تقلق .. لن ترى هذا ثانية ما دمت ستكون ولدًا طيبا .. ما دمت ستفعل ما أطلب منك .. الليلة أنا سعيدة لرحيل الأحمق .. سوف أتولى منصبه .. »

ظلت المكتبة مغلقة أسبوعًا (احترامًا لذكرى مستر لافين) ثم افتتحتها وكان أول ما علقته هو ملصق ذات الرداء الأحمر .. بعد هذا طلبت منى رسم ملصقات جديدة ..

ثم ارتجف (ديف) وقال :

- « كنت أحب أن أقول إننى قاومت لكن لا .. لقد قمت من أجلها بأعمال مريعة لا أذكرها كلها .. إنها كالثياب القديمة التى تتبرع بها كى لا تراها ثانية .. فعلت أشياء مريعة لكن جزءًا من ذاتى فعل هذا لأنه يريده .. لكنى لم أقتل .. لم أقتل وهذا هو الشىء الوحيد الذى يبقينى حيًا .. ولهذا فررت منها .. لكنها احتفظت معها بجزء من روحى .. الجزء الطيب منها .. »

٣

طلبت منى ذات مرة أن أرسم طفلاً دهمته سيارة (فسوت) جسده بالأسفلت ، وتحت الرسم عبارة تقول : لأنه تأخر فى إرجاع الكتب ! رسمت رسمًا كاريكاتوريًا مضحكًا وعرضته عليها فنظرت لى نظرة مخيفة وقالت :

ـ « ليس هذا ما أردت يا (ديف) .. أريد واقعية .. أريد للأطفال أن يخافوا لا أن يضحكوا .. إنهم يضحكون بما فيه الكفاية على كل حال .. أريد الكثير من الدم !! »

هكذا جلست أرسم فى بيتى .. وكان ما حصلت عليه رسمًا مروعًا لطفل طار حذاءاه ، وانتثر مخه كالزبد على الأسفلت . سائق السيارة التى دهمته هو ذات الشخص الذى يتكرر فى معظم ما رسمت من ملصقات . جاء الأطفال للمكتبة فكان تأثير الصورة دراميًا ، وبكت فتاة لدى رؤيتها . رسمت شرطى المكتبة فى أكثر من صورة .. هناك صورة تمثله فى إجازة يصطاد السمك لكن الطعم الذى يستعمله هو طفل .. رسمته يضغط على أزرار تتحكم فى صاروخ ، وقد قيد طفل إلى جسم هذا الصاروخ ، وتحتها كتبت : اقرأ كل شىء عن

العلوم فى المكتبة ، لكن تأكد من إرجاع الكتب فى وقتها !

لقد حولت أنا وهى المكتبة إلى منزل رعب .. لكن هل تعرف ؟ ظل الأطفال يعودون ولم يتكلموا قط .. عندما كان الآباء يأتون كانت تستبدل الملصقات فى ثوان ولا يرى الآباء إلا مس (لورتز) الرقيقة تجلس وسط دائرة وتحكى للأطفال حكايات عن الأميرة وحبة البازلاء .. يخرج الآباء فتعود لتحكى قصصًا مرعبة .. قصصًا خيالية شهيرة تجرى عليها بعض التعديلات لتجعلها مرعبة .. وكان الأطفال يحبونها برغم هذا .. الظلمة فى ذاتها كانت تلتقى بالظلمة فى ذواتهم .. هل تفهم هذا ؟

هنا تذكر (سام) ولعه بقصة ذى اللحية الزرقاء .. الأطفال يكرهون الظلمة لكنها تجذبهم ..

كانت أردليا تحكى هذه القصص للصغار .. وقد كبروا وهم يحملونها فى أعمق مخاوفهم .. صاروا محاسبين ومحامين ومهندسين لكنهم لم ينسوا ما كانت (أردليا) تحكيه ، ولعلهم قصوا هذه القصص على أولادهم ..

« هكذا عادت الدببة إلى الكوخ لتجد أن الفتاة الشقية أكلت عشاءهم .. هكذا انقضوا عليها والتهموها من قدميها حتى تظل حية تصرخ للنهاية .. لم يبق إلا رأسها فأخذوه إلى المطبخ ووضعوه فى الماء المغلى .. ثم التهموا مخها على الإفطار .. وقالوا إنه من أشهى ما يمكن .. وهكذا عاشوا فى تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات .. »

٤

كان (سام) يفكر .. يفكر فى كل المزارعين والبقالين والمحاسبين الذين كانوا يومًا يصغون لـ (أرديليا) فى المكتبة ثم كبروا ونسوا هذا .. لكنهم عندما تهب العاصفة أو عندما ينامون ويرون الكوابيس ، فإنهم يتحولون إلى صبية مذعورين يجلسون فى المكتبة فى دائرة حول أرديليا ويصغون .. لابد أن كلا منهم يحمل داخله ذكرى الدببة التى تسلق رأس الفتاة وتلتهم مخها ..

لقد تركت المرأة للبلدة تركة من الكوابيس السرية ..

واصل (ديف) قصته :

فى كل مرة كان أحد الأطفال يصاب بانهيار .. عندها كانت تطلب من الآخرين التزام مقاعدهم ثم تأخذ الصبى

إلى الحمام .. دقائق ثم تعود ، وقد عاد الصبى نضرًا كالأزهار .. ثم تواصل السرد ..

كنت أشعر بحيرة .. لابد أن هناك سرًا حول هذا .. يبدو لى كأنها كانت تحكى القصة المرعبة بانتظار هذه اللحظة بالذات ..هكذا انتظرت حتى جاء يوم أصيب فيه أحد الأطفال بحالة من الرعب أثناء حكاية صيغتها المعدلة لقصة (هانز وجريتل) فاقتادته إلى الحمام ..

دنوت من باب الحمام المفتوح واختلست النظر فلم أر شيئًا لأن ظهرها كان لى .. فقط كانت يدا الصبى على تنورتها ، وسمعت صوت امتصاص .. دنوت أكثر فوجدت أنها لا يمكن أن تشعر بى .. لا يمكن أن ترانى لا هى ولا الصبى لأن عينيهما مغمضتان .. دنوت أكثر فأكثر ونظرت .. فوجدت بأنها تلصق وجهها بوجه الطفل .. لم يعد وجهها بشريًا .. كان أقرب إلى الوجه الذى رأيته قبل وفاة (لافين) .. لقد استطالت ملامحها ولم تعد لها شفتان .. فقط صار هناك لون أحمر يحدد أحمر الشفاه الذى كانت تضعه .. وجهها تحول كله إلى ما يشبه الممص .. وكان هذا الممص يخرج إلى وجه الطفل .. لقد كانت (أرديليا) تمتص شيئًا من عينى الطفل !!

نظر (سام) إلى (ديف) مذهولاً وتساءل عما إذا كان الرجل قد فقد عقله ؟ الأشباح شىء وهذا الذى يقوله شىء آخر .. لكنه رأى الصدق فى عينى الرجل فقال لنفسه : لو كان يخرف فهو لا يعرف هذا ..

قال (ديف) :

- « كانت تمتص دموعه .. كان رأسها يمتصها من عينى الطفل وهو ينبض كالقلب .. أما دموع الصبى فبدت لى كأنها لحم ذائب .. وهى تواصل هذا الصوت الذى يقول (سليرب) .. لقد كانت تشرب خوفه .. لقد جعلته ماديًا .. »

سأله (سام) :

- « تريد القول إن (أرديليا) كانت نوعًا من مصاصى الدماء .. هه ؟ »

- « أعتقد هذا .. كل القصص عن مصاصى الدماء صحيحة لكنهم لا يمصون الدم .. أعتقد أنها امتصت ذات الشىء من مستر (لافين) .. إنه ليس الدم .. إنه الخوف .. »

٥

كنت أراها تواصل الامتصاص حريصة على كل قطرة ، وقد استطال هذا الجزء الذى تمتص به .. عرفت أن الوقت حان كى أرجع بسرعة .. هى لم تتأخر فى الحمام من قبل أكثر من خمس دقائق . لو صحت من غيبوبتها لرأتنى وعندها تقتلنى حتمًا ... لم أحسب أننى قادر على العودة بسرعة .. وقد اصطدمت بباب الحمام .. جريت لقاعة المكتبة نصف مجنون !

قررت أن أفر من المكتبة للأبد ، ثم وجدت أنها لن تتركنى .. ستعرف أننى رأيت ما رأيت ولسوف تلاحقنى أبدًا .. هكذا فعلت أصعب شىء فى حياتى وهو أن عدت لقاعة المكتبة ، فلم تلمس مؤخرتى المقعد ثانيتين حتى كانت قد عادت ومعها الصبى فى خير حال . ..

جلست مع الأطفال أصغى للقصة ، وعندما انتهت القصة رحت أشرب .. أشرب .. وحتى اليوم ما زلت أشرب ..

٦

لابد أن أربعة أشهر مرت .. عندما تصير سكيرًا لا يعود للزمن معنى ولا ترى الفصول إلا من خلال زجاجة .. فقط قالت لى ذات ليلة وكنا فى بيتها لأنها لم تأت بيتى قط :

ـ « أشعر بالنعاس يا (ديف) .. يبدو أن على النوم من جديد .. لكن عندما أنام للأبد هذه المرة يجب أن تكون معى .. لقد أغرمت بك .. »

ارتجفت رعبًا وقد فهمت ما تعنيه لكنها قالت ضاحكة :

ـ « لا أتكلم عن الموت بل عن النوم .. لكن عليك أولاً أن تأكل مما آكله ! »

ولم تفهم أننى فهمت ورأيت . ثم راحت تسألنى عن الأطفال .. من الشقى فيهم ؟ من السيئ ؟ « إنهم سيئون لا يستحقون الحياة ! إنهم مخربون .. فظون .. يعيدون الكتب وقد امتلأت بالرسوم .. من تعتقد أنه يستحق الموت يا (ديف) ؟ »

كان هذا هو الوقت الذى قررت فيه أن أفر .. حتى لو احتاج الأمر إلى قتل نفسى ..

كانت تتغير .. شعرها صار خشنًا وجلدها امتلأ بالبثور .. وفمها صار مقلوبًا للداخل وعليه خيوط صغيرة .. قالت لى :

ـ « لا تقلق .. هذه التغيرات طبيعية كلما قرب وقت نومى .. يجب أن تقرر سريعًا ما إذا كنت ستنام معى أم ترفض .. عندها يجب أن تخبرنى لأنهى الأمر معك الليلة بطريقة ناعمة بلا ألم .. »

كنت لا اصدق أن هذه رائحة فم وليست طعام كلاب فسد .. وقلت لها إننى راغب فى أن أكون معها لكنى أريد فترة لأحزم أمرى .. فوافقت ..

مدت شفتيها من هذه المسافة الطويلة لتلثم خدى .. فتماسكت كى لا أصرخ ..

وضحك (ديف) ضحكة منهكة لم ينسها (سام) للأبد بعد هذا .. وقال :

ـ « لا يهم .. إننى ما زلت أصرخ فى أعماقى منذ تلك اللحظة حتى اليوم ! »

٧

كنت قد انقطعت عن العالم الخارجى تمامًا ..هل تذكر عندما قلت لك إننى كنت فى نـادى الروتـارى يـا سـام ؟ حسَن .. فـى عـام ١٩٦٠ صرت فـى حالـة تجعل مـن العسير أن يعهدوا لى بتنظيف مبولـة النـادى نفسـها .. الناس يروننى فيعبرون الشارع كى لا يتكلموا معى ..

أعتقد أننى كنت سأرحل معها لعالمها لو لم يكتشفوا أمرها ..

انحنى (سام) للأمام سائلاً :

ـ « من الذين اكتشفوا ؟ »

ـ « نائب الشريف (جون باور) .. إن الشريف (نورمان) لم يكن يساوى شيئًا .. كان جمهوريًا وهو الدليل الحـى على أن الشريف يجب أن يعين ولا ينتخب .. فقد فـاز بأغلبية ساحقة لكنه كان قطعة من القاذورات بحجم بغلين .. لكن كان سر نجاحه هو احتفاظه بنائب ذكى بارع .. لقد مات نائب الشريف فى سن الثلاثين وقيل إنها نوبـة قلبية .. لا أصدق هذا .. ليست سوى نوبـة قلبيـة كـالتى

أصابت (لافين) من قبل .. هى قتلته .. كان هناك ثلاثـة أطفال يجب أن يموتوا فى المكتبة اليوم التالى .. »

نظر له (سام) وقال لنفسه إنه لو كان هذا الرجل قد رأى مـا رآه طيلـة ثلاثين عامًـا ، فإنـه قـد تحمل مـا لا يتحمله بشر ..

ـ « طفلان اختصت بهما نفسها .. أما الطفلة الثالثـة فقد ارتكبت خطأ عندما سلطت الضوء عليهـا وكـانت تريد الظلام .. وقد خصصت لى أرديليا هذه الطفلة كى تساعدنى على أن أكون معها .. كانت هذه نصيبـى أنـا .. الطفلـة كانت (تانسى باور) ابنة نائب الشريف .. »

هتفت (ناعومى) غير مصدقة :

ـ « هل تمزح .. أنت تتكلم عن (تانسى) التى تحضر جلسات AA معنا ؟ »

قال (ديف) :

ـ « معظم الأطفال الذين كانوا يحضرون للمكتبة يعالجون اليوم فى AA من إدمـان الكحـول .. عـام ١٩٦٠ كدت أقتل (تانسى باور) .. اقتربت من هـذا جدًا وليت هذا أسوأ ما فى الموضوع .. »

٨

أكثر ما بقى حكته هى لى .. كانت قد منعتنى من الاقتراب من المكتبة منعًا للقيل والقال ، كما منعتنى من زيارة بيتها قبل منتصف الليل ..

أذكر تلك الليلة جيدًا لأنها لم تكن ناعسة كعهدى الأخير بها .. كانت عصبية غضبى ، تدور بلا توقف فى المكان .. رائحتها تزكم الأنفاس وعيناها كانتا حمراوين تشعان ، ولم أكن أتخيل هذا لأن اللون انعكس على ذراعى .. وشىء يشبه الزيت يتساقط قطرات منها .. ورأيت أن كل ثنية فى جلدها مغلفة بغشاء رقيق .. كأن جلدها قد صار له جلد .. هل تريد أن تسمع شيئًا مضحكًا ؟ كلما دخلت مدينة ملاه أخاف الاقتراب من آلة صنع (غزل البنات) لأنه يذكرنى بما رأيته على جلدها فى تلك الليلة .. لقد كانت تنسج شيئًا يشبه ما تنسجه اليرقات حول نفسها .. كانت تصنع شرنقة ..

كانت تضرب الجدران بقبضتها فتهشمها .. ربما تهشم العظام كذلك ، لكنها لا تبالى .. ما كنت أراه وأسمعه يشبه قطة أنثى غاضبة ..

ـ « (جون باور) !!! »

ثم كانت تلكم الجدار !

ـ « (جون باور) ! سوف ترى .. أنت لن تجرؤ على اعتراض طريقى ! »

لكن لو رأيت وجهها لرأيت مزيجًا من الغضب مع الخوف .. ومعها الحق فى القلق .. فقد كان نائب المأمور ذكيًّا شجاعًا ..

هنا رأتنى فقالت :

ـ « (ديف) .. تعال لتشرب شيئًا .. »

كانت تشتهى قتلى بلا شك .. لكنها كانت بحاجة إلى .. كانت تريد قتل (تانسى باور) .. كانت تريد قتل الشرطى لكنها تريد أن يعرف أن ابنته ماتت أولاً ..

سألتنى إن كنت أعرفه فقلت إنه اعتقلنى مرة بتهمة السكر ، وأعتقد أنه رجل شديد المراس .. فقالت :

ـ « هذا الوغد جاء المكتبة اليوم وسألنى عن شهاداتى .. أراد أن يعرف أين كنت قبل أن آتى هنا .. أين تربيت .. لكنى سوف ألقنه درسًا .. »

لكنها كانت خائفة .. لقد اختار أسوأ وقت لتوجيه أسئلة لها لأنها كانت موشكة على السبات .. وهذا يضعفها كثيرًا ..

سألت (ناعومى) :

ـ « ما الذى جعل نائب الشريف يشك ؟ »

ـ لا أعرف .. فهى لم تكن تجعلهم شاحبين كما يفعل مصاصو الدماء فى الأفلام ، لكن برغم هذا كانوا يفقدون شيئًا ما .. (جون باور) لاحظ هذا أو أحس به .. جاء المكتبة وليس فى ذهنه شىء لكنه نظر لها بريبة ، وهى كانت تفقد صوابها متى نظر لها أحد بريبة ..

قالت لى إنها ستكون فى المكتبة غدًا ليراها الجميع .. سيكون على أن أتسلل إلى بيت نائب الشريف لأخطف الطفلة ، وأقطع حنجرتها ثم أتركها حيث هى ليراها أبوها .. ظللت صامتًا وكان هذا لمصلحتى لأن أى شىء أقوله كان سيطيح برأسى ..

طلبت منى أن أخطف الفتاة صباحًا على أن أختبئ حتى يأتى المساء لأنه لو قبض على قبل ذلك فلن

تستطيع مساعدتى .. وقالت إنها سترتب أن يتواجد طفلان آخران فى المكتبة غدًا .. وحين يجدوننا سيحسبون أننى وهى قد متنا لكننا لن نكون كذلك ..

حين رحلت صباحًا قالت لى ألا أخذلها وإلا قتلتنى وكانت ميتتى شر ميتة ..

هكذا رحلت وقد عرفت أننى لن أتحمل أن أراها مرة أخرى .. لم أكن راغبًا فى إيذاء (تانسى باور) لكنى كنت عاجزًا عن مخالفة أوامر (أرديليا) .. كان كل ما أفكر فيه هو أننى قادر على التنفيذ .. سوف أمزق حنجرتها بسرعة ولن تدرك ما حدث لها .. »

وبحث (ديف) عن (باندانا) فى جيبه أخرجها وتمخط فيها .. ثم واصل الكلام :

ـ كنت أمر جوار المتجر الكبير عندما نظرت للزجاج فرأيت أكوامًا مكومة من جثث الأطفال الصارخين .. توقفت وأغمضت عينى ثم فتحتها .. لا .. كانت دمى وضعها صاحب المتجر للعرض .. من جديد شعرت بأنها جثث أطفال .. فى هذه اللحظة صليت .. شعرت بأن هذه رسالة من الله تخبرنى بأن الوقت لم يضع بعد ..

حتى لو لم أفلت من (أرديليا) فما زال بوسعى ألا أغوص فى الحفرة معها .. هكذا اتجهت لكابينة هاتف عند متجر (بيجلى ويجلى) ، ودسست حجرين صغيرين فى فمى وطلبت نقطة الشرطة .. كان من رد على هو (باور) نفسه .. ارتجفت ذعرًا وكدت أغلق الخط ، ثم تكلمت وكان صوتى غريبًا بسبب الحجرين .. قلت له : أبعد ابنتك عن البلدة ، ولو كنت تجد لها قيمة فأبعدها عن المكتبة .. ثم وضعت السماعة .. كنت أتمنى لو قلت أكثر لكنه كان عدوانيًا ، وشعرت بأننى لو بقيت أكثر لرآنى عبر خط الهاتف .. الآن لم أعد أرى أى شىء سوى خطر أرديليا .. هل رأيت طائرًا محبوسًا فى المرآب من قبل ؟ كنت أنا أجرى مذعورًا فى كل اتجاه بذات الطريقة .. ثم اتجهت لرصيف المحطة حيث تواريت تحت مقعد طويل ونمت يومين كاملين .. يبدو أن الضغط العصبى الذى عشته عامين فى تلك الرحلة الممتعة لجهنم قد استبد بى فى النهاية .. كأن عقلى قد قرر أن ينزع القابس لبعض الوقت .. وحين أفقت شعرت بما تشعر به بعد انتزاع ضرس لك .. كانت هناك فجوة لكنها فى عقلى هذه المرة ..

خرجت من هناك ووقفت أمام بائع الصحف .. عرفت أن يومين مرا على نائمًا .. كما عرفت أن شرطة البلدة تفتش عن طفلين مفقودين .. وأن نائب المأمور توفى بنوبة قلبية .. لم تبد الجريدة قلقًا على الطفلين بل اعتبرتهما فارين لأنهما كانا شقيين بحق .. على أننى عرفت أنهما ماتا وأن جثة أرديليا معهما .. وهذا ما وجدوه فى اليوم ذاته .. لسبب ما كانت تريد حياتى الطفلين ، ولا تسألنى عن السبب .. ربما تفعل كما تفعل الدببة التى تملأ بطونها قبل البيات الشتوى .. لقد أنقذت (تانسى) وأنقذت نفسى لكنى لم أر فى ذلك أى عزاء ..

أعرف أن أرديليا عرفت أننى تكلمت .. لابد أنها بحثت عنى بعينها التى ترى كل شىء .. لكنى كنت فى شبه غيبوبة فلابد أنها عجزت عن العثور على روحى .. لو وجدتنى فأنا غير قادر على تخيل ما كانت ستفعله بى انتقامًا .. كان وقتها ضيقًا والتحول قد بدأ .. لكن فرصتها فى الانتقام جاءت من جديد ..

نظر له (سام) مندهشًا :

ـ « ماذا تعنى ؟ »

- « أنت قابلتها فى المكتبة .. وأنا من نقل الكتب من دارك إلى تدوير المخلفات .. لابد من رابط هنا .. إنها تريدنى لتقتلنى وسوف تفعل ذلك ، لكنها قد تريدك لتلعب معها الدور الذى لعبته أنا ! »

هتف (سام) ساخرًا :

- « ربما كانت قنبلة جمال فى الماضى .. لكن الآن .. هى ليست طرازى صدقنى !! »

قال (ديف) :

- « يبدو أنك لا تفهم .. هى لا تريد علاقة معك يا (سام) .. بل تريد أن تكون أنت ! »

٩

قال (سام) فى ذهول :

- « انتظر هنا لحظة .. »

- « بل انتظر أنت .. أنت مناسب لها جدًا لأنك غير متزوج وتؤمن بشرطى المكتبة وتعرفنى ولا أصدقاء لك فى البلدة »

قال (سام) :

- « أما هذه فلا .. لقد صار لى صديقان عزيزان فى البلدة هما أنت و(سارة) .. »

واصل الرجل :

- « أعتقد أنها ستفرغ منك كل ما يجعلك (سام) ، كما يفعل الصبى بثمرة (اليقطين) فى (الهالوين) .. ثم تلبسك كالرداء ..من أين جاءت هى ؟ أنا مؤمن أنها كانت تلبس جلد امرأة حقيقية اسمها (أرديليا لورتز) كانت تعيش فى (أيوا) أو (مين) .. الآن سوف يتحرك (سام بيبلز) لكنه لن يكون هو .. سيظهر فى بلدة أخرى ويجذب انتباه الأطفال .. سوف يحبونه لكنهم سيخافونه بالقدر ذاته »

- « وبالطبع سيكون أمين مكتبة ! »

* * *

الفصل الثانى عشر

إلى (دو موان) جوًا

١

نظر (سام) لساعته فدهش لما وجد أنها الثالثة عصرًا .. بقيت تسع ساعات على منتصف الليل ، وهو آخر موعد حدده له شرطى المكتبة . فسأل (ديف) :

ـ « ماذا أفعل يا (ديف) ؟ أبحث عن قبر (أورديليا) وأغمد وتدًا فى قلبها؟ »

ـ « فكرة ممتازة .. لكن السيدة قد تم حرق جثتها ! »

شهق سام فى خيبة أمل وقالت (ناعومى) وهى تضع يدها على كتفه :

ـ « مهما كان ما ستفعله فلن تفعله وحدك .. لاتنس أننا صديقاك »

قال لها :

ـ « لا أعرف ما يجب عمله ما لم أفر طبعًا .. »

قال (ديف) :

ـ « سوف تمضى طيلة الليل فى القيادة ثم تجدها بانتظارك فى نهاية الرحلة .. هناك حل أبسط .. ثمة مكان يدعى متجر (بيل) للكتب فى (دو موان) .. لو كان فى وسع شخص مساعدتك فهم قادرون هناك .. »

قالت (سارة) وهى تغادر المكان :

ـ « سوف أتصل بهم أولاً لأتأكد قبل أن نقطع المسافة بلا طائل .. »

فكر (سام) قليلاً فقال (ديف) :

ـ « لا وقت للذهاب بالسيارة .. سيكون عليك و(سارة) ان تقصدا المطار فى (بروفيربيا) .. (سومز) لديه طائرة (نافاهو) صغيرة ويمكن أن يأخذكما إلى (دو موان) ويعود بكما حوالى التاسعة مساء .. سوف يقول لكما إنه كان يجب أن تحجزا من قبل .. وإنه لا يستطيع .. قولا له إن (ديف دونكان) هو من أرسلكما وإن الوقت قد حان لدفع ديون البيزبول »

ـ « وما معنى هذا ؟ »

ـ « لا شأن لك .. فقط سوف يوصلكما ، وعندما يعود بكما لا تأتيا هنا .. اركبا السيارة إلى البلدة .. إلى المكتبة »

قال (سام) :

ـ « أنا مسرور بصداقتكما يا (ديف) .. لكن يجب أن أتولى أمر نفسى من هنا .. لقد كان الخطأ خطئى عندما أيقظتها من جديد .. »

اعتصر (ديف) ذراعه وقال :

ـ « إذن أنت لم تسمع ما أقول .. لم يكن هذا خطئى ولا خطأك .. لكن عليك أن تبقى مع (سارة) .. (سارة) الآن تعرف كل شىء عن أردليا وهذه الأخيرة لن تترك من يعرف سرها حيًا .. لهذا تذكر .. لو أردت أن تحمى (سارة) فعليك أن تكف عن لعب دور البطل »

ثم أضاف :

ـ « ثمة شىء آخر .. يجب أن تتذكر من هو شرطى المكتبة الخاص بك .. يجب أن تتذكر من عرفته فى حياتك ويحمل ذات الوجه .. هذا سيفيدك كثيرًا »

٢

سأل (ديف) (سارة) :

ـ « هل ما زالت المكتبة تغلق فى الثامنة مساء ؟ »

ـ « هذا صحيح .. »

ـ « إذن سأذهب هناك فى الخامسة .. ولسوف ألقاكما عند باب الشحن بين الثامنة والتاسعة .. والآن الحقا بـ (سومز) بسرعة لأن النهار أوشك على الانتهاء .. »

قالت له (سارة) :

ـ « شكرًا على ما حكيت لنا .. »

ـ « لقد أراحنى هذا على كل حال .. »

مد (سام) يده ليصافحه ثم فكر فيما هو أفضل .. احتضنه بحرارة ..

٣

وجد (سام) و(سارة) (سومز) فى الحقل خلف داره .. وكان رجلاً فارع الطول فى الستين لـه عينان غاضبتان وبشرة تشعرك بأنـه نـال نصيبـه من شمس الصيف مع أن الربيع لم ينته بعد ..

بدا المكـان حقلاً لـ (سام) لكنـه رأى طريقًا متربًا تقف فيـه طائرة (نافاهو) صغيرة .. من ثم أدرك أن هذا هو مطار (بروفيربيا) الذى تكلم عنه (ديف) .. مطـار فى حقـل ليس فيـه سوى ممر واحد متسخ بالتـراب .

قال (سومز) عندما سمع طلبهما :

ـ « مستحيل أن أقبل .. عندى خمسون هكتارًا يجب حرثهـا فى حقلى .. كـان يجب أن تخبرانى منذ أيام .. »

قال لـه (سام) ما قالـه (ديف) .. على الرجل أن يدفع ديون البيزبول .. بدا على الرجل انه موشك على

ضرب (سام) ثم هدأ واتجـه إلى التراكتور ليبعـده عن الطريق ، وطلب منهما أن يقفا جوار الطائرة .. وأن يأخذا الحذر مـن روث الماشية حتـى لا يتلوث حذاءهما ..

لكن ما إن ابتعد حتى نسيا أيـن يوجد روث الماشية والوحل ، وسرعان ما وجدا أنهما غرقا فى القذارة إلى حد أنهما انفجرا فى الضحك ..

كانت الرحلة خلف (سومز) فى الطـائرة مرعبة فعلاً .. وخطر لـ (سام) أنهمـا سيهزمان (أرديليـا) بطريقة لم تخطـر لهـا ببال من قبل .. سوف تتلاشى جثتاهما لتتناثرا فوق حقول قمح (أيوا) ..

وفى الرابعة وعشرين دقيقة انحدرت الطـائرة لتهبط فـى مطـار المقاطعـة فـى (دى مـوان) .. وسـاعد (سومز) (سـارة) على النزول من الطـائرة .. شعر (سـام) بغيرة وهـو يـرى خـدى الفتـاة المتورديـن

وحماسها بعد رحلتها الأولى بالطائرة .. وقالت وهى تهبط :

ـ « رائع .. رائع ! »

قال (سومز) :

ـ « بالفعل ما زلت أراه كذلك .. هذا أفضل من قضاء العصر على التراكتور الذى يوشك على انتزاع كليتى .. ليس هناك مشهد أجمل من رؤية وجه فتاة شابة بعد أول رحلة بالطائرة لها .. »

قال (سام) :

ـ « نحن ذاهبان إلى مكان يدعى متجر (بيل) للكتب .. فهم يحتفظون بكتابين لنا .. »

نظر لهما فى ذهول :

ـ « أعرف متجر (بيل) .. لكن ما أريد فهمه هو : لقد جعلتمانى أطير فوق الولاية كلها من أجل كتابين فى مكتبة ؟ »

ثم دس يديه فى جيبه وقال :

ـ « على كل حال كنت مدينًا لـ (ديف) بهذا منذ عشر سنوات .. تذكرا أنه يجب ان أعود لـ (جانكشان) بسرعة قبل أن يهطل المطر لأن هناك منطقة ينخفض فيها الضغط الجوى »

٤

كان متجر (بيل) يشبه الجرن وهو ينتصب على قمة الشارع نقيضًا لكل متاجر الكتب التى توجد فى مراكز التسوق الكبرى . ومشت (ناعومى) إلى الموظف المكلف بخدمة العملاء .. قالت للموظف إن اسمها (ناعومى هجنز) ..

ـ « لقد اتصلت بك من قبل .. »

قال الموظف :

ـ « نعم .. ومد يده إلى الأدراج التى خلفه وأخرج كتابين .. الأول كان (رفيق الخطباء) والثانى كان (أكثر الأشعار شعبية لدى الأمريكيين) .. لم يسر (سام)

برؤيـة كتابين فى حياته قط مثـل هـذه اللحظة ، وقاوم رغبة قوية فى انتزاعهما من يد الموظف ليحتضنهما ..

قال الموظف :

ـ « كتاب الشعر سهل .. لكن (رفيق الخطباء) صعب جدًا .. مكتبتنا هى الوحيدة التى تحتفظ بنسخة منه مـن هنا حتى (دنفر) .. »

وكان ثمن الكتابين خمسة وعشرين دولارًا .. لذا هتـف (سام) وهما يغادران المتجر :

ـ « لا أصدق ! لا أصدق أن الأمر بهذه البساطة »

واتجها إلى المطار حيث كان (سومز) يغنى بطائرته ..

* * *

الفصل الثالث عشر

شرطى المكتبـة

١

فى طريق العودة حكى لهما (سومز) كل شىء عن دين البيزبول .. لقد كان له ابن مصاب بسرطان الدم وقد اقترب من النهايـة ، وأمره الأطبـاء بـألا يحضـر مباريات البيزبول .. لكن الصبى كـان يعشق اللعبـة .. لهذا جـاءه (ديـف) الـذى كـان صديق أبيـه وقـال إنـه سيجلب له أشهر اللاعبين .. لم يصدق الرجل ما قام به (ديـف) ولـم يتصـور أنـه بهذه الموهبـة .. لقد سـهر عشـرة أيـام يرسـم وجـوه لاعبـى الفريـق القومـى علـى كـرات البيـزبول .. رسـمهم بدقـة وفـن .. ليـس هـذا فحسب .. بـل جعـل كل لاعب فـى الفريـق يوقـع تحت صورته .. هكذا جاء لفراش الطفل المريض وسكب الكرات أمامه فلم يصدق الطفل عينيه .. لم يـره أبوه سعيدًا بهذا الشكل من قبل .. فى الأيام التاليـة سـاءت حالتـه أكثر لكنه ظل يحتضن كيس الكرات حتى اللحظة الأخيرة ..

قال (سومز) وهو يجفف دمعه :

ـ « (ديف) فعل هذا لابنى .. بعد هذا يسخرون منه فى البلدة ويطلقون عليه (ديف) القذر .. لو سمعت أحدهم يقول هذا لـ ... »

وشعر (سام) بالخجل لأنه كان يستعمل ذلك اللقب قبل أن يعرف (ديف) جيدًا ..

نظرت (ناعومى) للأرض تحتها فرأت السيارات اللعبة تقطع طريق (أيوا) الغربية .. نظرت لـ (سام) لتشير له نحو المنظر لكنها وجدته نائمًا .. لا .. ليس نائمًا فى سلام .. بل هو يتعذب من المعاناة .. مدت يدها لكتفه فسمعته يقول بصوت طفل :

ـ « هل أنا فى مشكلة يا سيدى ؟ »

أدركت انه الآن يقابل شرطى المكتبة .. لا .. لن توقظه .. آسفة يا (سام) .. يجب أن تخوض التجربة كاملة .. فقط حاول أن تتذكر من هو عندما تستيقظ يا (سام) .. حاول أن تتذكر ..

٢

فى المنام رأى (سام) أنه هو ذات الرداء الأحمر .. هذه المرة هو (سام) الصغير الأبيض .. إنه يحمل سلة ويمشى فى الغابة لكن السلة خالية من الطعام لأنه لايوجد شىء فى البيت بعد وفاة أبيه .. كان فى السلة كتاب يحمل عنوان (السهم الأسود) لـ (ر. ل. ستيفنسون) .. وكان قد قرأه .. فى جيبه حلوى الريسوس ومذاقها يملأ لعابه ..

لم يكن ذاهبًا لبيت الجدة بل للمكتبة العامة فى (سانت لويس) .. وكان عليه أن يسرع لأن الكتاب قد تأخر . حاول أن ينزع نفسه من الكابوس لكنه لم يستطع .. (ناعومى) خارج هذه الكرة المشئومة .. لكنه لا يقدر على اللحاق بها .. يسمع هدير محرك (النافاهو) لكنه لا يستطيع العودة من الحلم ..

لا تحاول الخروج يا (سام) .. هناك شرطى مكتبة فى طفولتك ويجب أن تراه .. يجب .. لو أردت أن تنقذ (سارة) من (أرديليا) ..

إنه يجتاز المكتبة .. يمر جوار شرطى المكتبة .. ليس شاحبًا لكنك لا ترى عينيه لأنه يضع عوينات سوداء .. هناك ندبة تكسو أنفه وتمتد تحت عينيه ..

احترس .. هذا ليس شرطى المكتبة .. بل هو الذئب !

لكن (سام) الصغير الأبيض لا يسمع .. إن الرجل يعترض طريقه ثم ينحنى ليسأله :

ـ « أهلاً يا فتى .. هل قرأت هذا الكتاب ؟ »

ـ « نعم .. إنه كتاب جميل ملىء بالمعارك .. كتبه رجل يدعى (ستيفنسون) .. رجل مات بالدرن »

لم عيناك كبيرتان هكذا يا جدتى ؟

ـ « هل انتهت فترة استعارة كتابك ؟ »

ـ « فقط أربعة أيام يا سيدى .. »

ينحنى الرجل أكثر ويقول :

ـ « أنا شرطى المكتبة .. تعال معى .. »

حاول الهرب .. لكن لا .. هذا الرجل يمثل السلطة .. الحكومة .. أنت لا تستطيع الفرار من الحكومة فهى فى كل مكان ..

يد الرجل تلتف حول (سام) .. يده قوية جدًا .. هل أنا فى مشكلة يا سيدى ؟ يقولها أملاً ألا يقول الرجل نعم .. نعم .. أنت فى مشكلة ..

يقتاده إلى الغابة بجوار المكتبة .. عندما يأمرك الشرطى بشىء فعليك أن تمتثل .. يهزه بعنف كى يخرس .. سوف أطلب أمك وأخبرها كم أنت شرير .. أرجوك لا تفعل .. سأدفع الغرامة !

شرطى المكتبة يصفعه ويضربه ويركله حتى يسيل الدم من فمه .. يضربه .. يضربه .. يصفعه .. لابد أن (سام) لم يعد (سام) الصغير الأبيض بل صار (سام) الأحمر ..

(سام) يبكى ويقول : سيدى .. هل دفعت الغرامة ؟ هل هذا كاف ؟ هل استوفيت حقك ؟

ـ « لا .. لكنى أشفقت عليك .. لو تكرر هذا لعدت وضربتك من جديد .. لا تدعنى أراك هنا أبدًا يا بنى .. فهمت ؟ »

لكن العذاب لم ينته .. سوف يظل (سام) يرى شرطى المكتبة فى كل مكان .. لو نظر للسماء لرأى وجهه فى السحب ملتويًا مشوهًا ..

- « لا تنس .. عندما ينسى الأولاد السيئين وعدهم لشرطى المكتبة أقتلهم ! »

يحاول (سام) أن يبكى بلا جدوى .. سوف يحتاج إلى أعوام حتى يجد الدموع ليبكى على أى شىء .. ولن يدخل المكتبة .. لن يدخل أية مكتبة للأبد ..

شرطى المكتبة موجود وفى كل مكان .. يراه فى كل لحظة ..

سوف يطارده للأبد فى كل كوابيسه حتى وإن نسى (سام) القصة .. سوف يظل (سام) يسأل فى قلق : أتراني قد صُفح عنى ؟ أتراني استوفيت الغرامة يا سيدى ؟

فتكون الإجابة أبدًا هى لا .. ليس بعد ...

* * *

الفصل الرابع عشر

المكتبـــة

١

كان الهبوط فى الحقل الذى يسميه (ديف) (مطار بروفيريا) مرعبًا .. وانتفض (سام) مذعورًا لكن (ناعومى) مدت يدها برغم الحزام لتضعها على كتفه .. كانت تنتظر هذه اللحظة .. كانت قد هدأت من روع سكارى كثيرين فى AA فى لحظات هياجهم العصبى وتعرف ما يجب عمله ..

- « (ناعومى) ! يا له من كابوس !! »

وبدأ المطر ينهمر على جسم الطائرة كما توقع (سومز) الذى كان يعوى فى الميكروفون ..

سألت (سام) :

- « هل كان هذا شرطى المكتبة ؟ شرطى مكتبتك ؟ »

- « نعم .. »

ـ « وهل عرفت من هو ؟ »

بعد صمت طويل قال :

ـ « نعم .. »

٢

كانت السابعة والربع الآن ..والمطر ينهمر بغزارة .. عرض عليهما (سومز) أن يدخلا داره لشرب القهوة والتهام فطيرة تفاح ، لكن (ناعومى) قالت فى إصرار إن الأمر مهم .. يجب أن يرحلا فورًا ..

قاد (سام) سيارة (ناعومى) فى طريق العودة وهو يفكر قلقًا فى (ديف) ، لكن الخروج عن الطريق وقلب السيارة لم تكن الطريقة المثلى لإبداء الاهتمام .. المطر غزير والمساحات لا تقدر على التعامل معه ، دعك من أن الكشافات بدأت تتراقص ..

ـ « لا أعتقد أننا سنكون هناك فى الثامنة »

ـ « حاول جهدك يا (سام) .. »

لقد صارا يتحركان بسرعة عشرة أميال فى الساعة .. واستمر فى القيادة بحذر حتى دخلا المدينة .. كان

ينظر لها بطرف عينه ، فدهش لأنه لم يدرك جمالها من قبل .. لقد تودد لها من قبل لكن لم يفعل ذلك لأنها راقت له .. بل لأنها كانت وحيدة وفى بلدة صغيرة .. العزاب فى بلدة صغيرة يجب أن يتوددوا لبعض .. أما اليوم فهو يراها حقًا .. يجدها جميلة حقًا ..

أما هى فكانت تنظر له ..

لم تعد نظرته خائفة .. يبدو لها كأنه إنسان أتيحت له فرصة العودة لأسوأ كوابيسه مدججًا بالسلاح هذه المرة .. هذا وجه يمكن أن تحبه ..

قال لها :

ـ « أريد التوقف عند متجر (بيجلى ويجلى) .. »

ـ « هل تجد الوقت مناسبًا لهذا ؟ وقتنا ضيق .. »

ـ « هناك شىء بالغ الأهمية .. »

ثم ترجل ورأته يتجه لكابينة هاتف .. لابد أنها ذات كابينة الهاتف التى اتصل منها (ديف) بنائب الشريف يطلب منه إبعاد ابنته .. هذه المكالمة لم تقتل أرديليا لكنها أبعدتها ..

(سام) يقف فى الكابينة والنور يضاء ..

يبحث فى الأرض حتى يجد لفافة صغيرة .. فتحها فوجد أنها خاصة بحلوى الربسوس .. هنا سمع صوت بوق السيارة الذى ضغطت عليه الفتاة تستدعيه ، فدس الورقة فى جيبه وغادر الكابينة ..

٣

بدا العامل فى (ويجلى بيجلى) كأنه شاب جمدوه عام ١٩٦٩ ثم ذوبوه هذا الأسبوع .. شعره طويل مربوط بشريط وعيناه توحيان بالمخدرات .. وتحت مريولة العمل كان قميصه مشجرًا مليئًا بأزهار زاهية ..

نظر الفتى فى حيرة إلى (سام) وهو يتجه إلى الحامل لينتقى عشرين كيسًا من حلوى الربسوس .. وسأله فى استمتاع :

ـ « هل أنت واثق من أن هذه الكمية تكفيك يا (جدع) ؟ هناك صندوقان فى المخزن .. أعرف كيف يشعر المرء عندما يتوق إلى أية تصبيرة »

ـ « هذا كاف فاحسبه لى لأنى متعجل .. »

ثم مد يده والتقط (أستك) مطاطيًا وجده جوار آلة الحساب فلفه حول معصمه .. تدلى الأستك رخوًا كالسوار .. ثم نقد الفتى ثمن الربسوس ..

ـ « هذه الأشياء كانت أرخص عندما كنت طفلاً .. »

ـ « نعم .. التضخم يشفط الكل يا جدع .. هل تحب هذا الربسوس ؟ »

ـ « لا .. إنه هدية لشخص ما ..أنا أكره طعمه »

كانت هناك نظرة على وجه (سام) وهو يلفظ هذه الكلمات جعلت الفتى يتراجع خطوة .. وقرر (سام) أن يدس الحلوى فى جيبيه ثم يعود إلى السيارة ..

٤

قادت (ناعومى) السيارة إلى المكتبة .. بينما أخرج (سام) الكتابين من كيسهما . كل هذه الضوضاء من أجل كتاب انتهى عهده .. لكن ليست هذه القصة بالضبط .. لم يكن للكتب دور فى القصة قط ..

لفَّ الكتابين بالأستك المطاطى ثم دس ورقة بخمسة دولارات بين الكتابين , فسألته الفتاة :

ـ « ما هذا ؟ »

ـ « غرامة التـأخير عن هذين الكتـابين .. وغرامـة تعود لمرة قديمة .. كتاب قديم لم أرجعه فى طفولتي »

ثم فتح أحـد أكياس الحلوى وشمها بعمق .. شعر بالرائحة تتسرب إلى منخريه ثم تتكور فى معدته كأنها لكمة .. توقع أن يفرغ معدته لكن هذا لـم يحـدث .. ثم بـدأ يفرغ بـاقى الأكيـاس ويكومهـا فـى حجـره .. هنـا توقفت (ناعومى) بالسيارة وهتفت :

ـ « (سام) .. ماذا تفعل بالله عليك ؟ »

ولأنه لم يكن يعرف ما يفعله قال :

ـ « لو كان الخوف هو اللحم الـذى تأكلـه (أرديليا) فإن نقيض الخوف هو سمها .. »

ـ « أنا متـأكدة من أن نقيض الخوف ليس حلوى الربسوس .. »

ـ « من قال هذا ؟ كيف تعرفين ؟ مصاصو الدمـاء فى القصص تقتلهم الصلبان .. شرطى المكتبـة سلبنى

كل شىء .. سلبنى الأمن والأصدقاء والحب . هذه من الأشياء التى كنت أحبها .. كنت أحب الربسوس .. الآن لا أستطيع تحمل رائحته .. »

ثم راح يدعك قضبان الربسـوس بيـن يديـه حتـى حولهـا لعجينـة مقززة .. اللون الأسود لوث يديـه .. لكنه استمر .. الآن يتذكر طفولته وكيـف ضربـه ضربًا مبرحًا رجل مختل عقليًا كان يدعى أنه شرطى .. برغم هذا (سـام) محظوظ لأن هذا المجنون كـان يمكن أن يفتك به ..

من بعيد يرى مكتبة البلدة .. بينما تقول الفتاة :

ـ « أعتقـد أن نقيـض الخـوف هـو الصـدق والإيمـان .. »

فكر قليلاً ثم قال :

ـ « ليس سيئًا .. حتى لو لم يصلحـا فمن الخير أن يكونا كذلك .. لقد وصلنا ! »

٥

وقفا فى الظلام والمطر يرقبان آخر من يغادرون المكتبة .. رأى مستر (برايس) يغادر المكتبة ويركب سيارته (الإمبالا) ورأى الفتاة (سنثيا) التى قابلها عندما جاء للمرة الثانية .. ثم ساد الصمت ..

لم يعد من أحد سواه و(ناعومى) .. سواهما والمكتبة وربما (أرديليا) ..

المطر يشتد ومعه الريح .. لدرجة أن السيارة الداتسون راحت تهتز .. وهوى غصن شجرة محدثًا صخبًا ، فقالت الفتاة :

ـ « رباه ! »

ـ « أنا نفسى لست مفتونًا بهذا الجو .. »

أضواء الصوديوم ترسل ضوءًا غريبًا كئيبًا فى الظلام .. مع تأثير المطر والريح . وشعر (سام) بأنه سيرى شرطى المكتبة الآن من وراء الزجاج :

ـ « تعال معى يا بنى .. فأنا شرطى .. »

هوى غصن آخر ثقيل .. فصرخت الفتاة وجاوبتها الريح بالصراخ ..

فجأة رأى (ديف) يبرز لهما قرب الباب الخلفى للمكتبة ، وكان يلوح بذراعيه وقد امتقع وجهه وبدا فى أسوأ حال .. قال (سام) :

ـ « (ناعومى) .. (ديف) هناك .. »

قالت وهى تفتح باب السيارة :

ـ « يا للهول ! يبدو فى أسوأ حال ! »

لكن الباب انغلق بفعل الريح فدفعته بكتفها لتسقط على الأرض فى الماء وشعرها يرقص فى عاصفته الخاصة حول رأسها .. من أين جاءت هذه العاصفة العاتية ؟ إنها عاصفة أرديليا على الأرجح ..

غادر (سام) السيارة بدوره ، ثم تذكر أنه يحمل الريبسوس لكن ليس الكتب .. هكذا عاد وجاهد حتى فتح الباب واسترد الكيس .. هنا شعر بأن الضوء يتبدل ..

أضواء الشارع ذات الصوديوم تبدلت لتصير أضواء فلورسنت عتيقة .. تبدل شكل المكتبة وصارت محاطة بنبات الصفصاف ..

مرحبا بالعام ١٩٦٠ .. كذا فكر (سام) .. ونظر إلى حيث كان (ديف) يصرخ :

- « إنه الرجل الذى وصفته يا (سام) .. شرطى المكتبة ! إنه هنا .. »

فى اللحظة التالية برزت يد وضعت على كتف (ديف) وشدته إلى الداخل ..

أمسك (سام) بمعصم (ناعومى) وجذبها إلى بناية المكتبة ، فما أن دخلا حتى انغلق الباب بفعل الريح خلفهما ..

٦

كانوا الآن فى مكان معتم .. ليس مظلمًا لكنه معتم .. وكانت هناك أباجورة على منضدة أمين المكتبة تلقى ظلالاً خافتة .. فى ركن القاعة يقف شرطى المكتبة ممسكًا بعنق (ديف) فى وضع (نلسون) الذى يمنعه

من الحركة ، وقد صارت قدماه مرتفعتين ثلاث بوصات عن الأرض ..

- « لا تقتربا خطوة وإلا هشمت عنقه كالدجاجة .. »

كان ظله يتراقص على الجدار ، وفكر (سام) فى أنه لم يكن له ظل من قبل .. ما معنى هذا ؟ ربما صار الشرطى أكثر واقعية الآن .. إن الشرطى هو أرديليا وهو الرجل الذى يقود السيارة التى خطفت الصبى .. فقط يبدل الوجوه كما يبدل الصبى أقنعة الهالوين ..

دنا منه (سام) خطوة وقال :

- « هل نصدق أنك ستبقيه حيًا لو لم نقترب ؟ »

تراجع الشرطى خطوة لدهشة (سام) وهتف :

- « أنا أنذرك !! »

- « إن مشكلتك ليست معه بل معى .. فلننه الأمر ! »

- « ليكن ! »

وطوح الشرطى جسد (ديف) إلى الجدار فهوى كأنه كيس غسيل .. حاول أن يتلافى الصدمة بلا حماس لكنه

ارتطم بمطفأة الحريق وسمع (سام) صوت تهشم العظام الكئيب .. سقط (ديف) وسقطت المطفأة العملاقة فوقه ..

- « (ديف) !! »

صرخت (ناعومى) وهرعت نحو الرجل فقط ليمسك شرطى المكتبة بذراعها .. وللحظة توارى وجهه وراء شعرها بندقى اللون .. كأنه يلثم مؤخر عنقها ..ثم أبعد وجهه عنها وسعل ..

التقط (سام) كتابًا ثقيلاً من جانبه وألقاه فى وجه شرطى المكتبة .. طار الكتاب ليضرب الرجل فى وجهه فصرخ غضبًا .. تحررت منه (ناعومى) وركضت نحو أحد الرفوف المرتفعة .. وصلت إلى (ديف) فتمسكت به ..

قال (سام) :

- « مشكلتك ليست معها هى الأخرى .. »

- « كان يجب أن أقتلك أولاً .. »

صارت عيناه ثقبين أسودين كأنه خلد .. ومشى نحو (سام) محدثًا صوت احتكاك غريبًا على الأرض .. نظر

(سام) للأرض فوجد أن معطف الرجل يزحف على الأرض خلفه .. لقد صار أقصر !!

لوح بالكتابين وصاح :

- « هذان كتاباك ! خذهما ! ومعهما الغرامة ..! »

صاح الرجل :

- « كلا .. هذان ليسا الكتابين اللذين أخذتهما!! »

طوح (سام) بالكتابين فى وجه الرجل فهشم نظارته .. ومكان العينين رأى فجوة سوداء مقيتة امتلأت بالنسيج .. وتذكر كلمات(ديف) عن أن الرجل يصنع شرنقته الخاصة .. قال لنفسه : أنا لم أر عينى الرجل الذى ضربنى لذا لم ترها هى الأخرى ! لقد بدأ الرجل الذى جاء من ملصق (ديف) ومن ذكريات (سام) الأليمة يتحول إلى قزم ..

وجه ركلة للرجل وركلة أخرى .. من أجل الأطفال الذين ضربتهم أنت والذين التهمتهم هى ..

ثم مد يده يمسك به من المعطف فأدرك أنه ليس معطفًا .. إنه جلد رخو واسع له ملمس كيس الشاى المستعمل .. جذب يده فى رعب وأطلق صرخة .. وفجأة سمع ضحكة امرأة تدوى :

- « تأخرت يا (سام) .. تأخرت ! لقد عادت (أرديليا) !! »

واهتزت بناية المكتبة .. ثم انطفأت الأنوار !

٧

ساد الظلام ووسطه كانت ضحكة (أرديليا) تدوى .. جرى نحو (ناعومى) التى كانت راكعة جوار (ديف) ووجهها شاحب ممتقع .. فقالت له :

- « أظن أنه يموت يا (سام) .. »

كان هذا واضحًا وصدر الرجل يعلو ويهبط متحشرجًا والدم ينزف من رأسه .. فى هذه اللحظة طار كتاب عملاق هو الحجم الكبير من قاموس أكسفورد

نحوهما ، فارتميا على الأرض بينما ارتطم الكتاب الذى يزن سبعة أرطال بالجدار .

وخلف خزانة الكتب المقلوبة بدا أن شيئًا ما يتكون .. شيئًا عملاقًا يتخذ شكلاً وهيئة ..

همست الفتاة :

- « عليك بها يا (سام) .. عليك بها ! »

قال وهو ينهض نحو المكتبة :

- « سأحاول .. سأحاول »

٨

أفزعته الرائحة .. رائحة اللافندر ممزوجة برائحة الكتب العتيقة ..

اجتاز المسافة نحو المكتبة وهو يعتصر كرة حلوى الربسوس فى يده بعصبية .. يمشى وسط مئات الكتب المبعثرة هنا وهناك .. يسمع صوت قدميه على مشمع الأرضية ..

- « أين أنت يا (أرديليا) ؟ لو كنت تريديننى فلتخرجى لتظفرى بى »

سقطت فوقه كومة من الكتب من أعلى فتملص ليفلت .. هنا سقطت مجموعة أخرى وسمعها تضحك .. ما حدث بعد هذا لم يتعمده (سام) لأنه تعثر وأوقع جبلاً من الكتب .. عندما سمع صراخها أدرك أن الجبل سقط فوقها بالذات ..

نظر إلى مصدر الصراخ فرأى (أرديليا) الحقيقية .. بالفعل كانت شقراء زرقاء العينين ، لكن هذا هو الشبه الوحيد بينها والبشر .. فيما عدا هذا كانت مسخًا مخيفًا ضخمًا فيه شبه مقزز بالخنفسة .. وكان المسخ يحاول التحرر من الكتب التى أحاطت به ويصرخ .. لكن (سام) لم يشعر برعب .. على الأقل هو يراها الآن حقيقة فلم تعد مجرد أسطورة مخيفة ..

ومن بين العينين برز شىء يشبه خرطوم الفيل فتباعدت العينان لتفسحا مكانًا له .. خرج ذلك الممص الطويل يتلمس طريقه حتى لمس (سام) .. أجفل الأخير وقد أدرك قوة هذا الشىء ..

شعر بدوار وللحظة شعر أنه من الخير له أن يقف ثابتًا ويدع الشىء يحدث ..

بدا كأن الكائن كله يتحول لذلك الممص .. باقى جسده لم يعد ذا نفع وصار يتدلى من وراء الأنبوب اللحمى الكبير .. برغم كل شىء كان هذا لطيفًا .. سوف يمتص وجوده كله .. سيأخذ كل ما هو (سام) إلى داخله ..

ركع (سام) على ركبتيه ليسمح للشىء بتحسس وجهه .. شىء يسيل من جانب عينيه .. ليس دموعًا .. لكن الشىء يمتصه ..

الغرامة قد دفعت .. الغرامة قد دفعت .. لم تعد مدينة لى بشىء ..

بما تبقى فيه من قوة مد يده اليمنى يمسك بالممص .. كان ملمسه شنيعًا يسبب وخزات فى الجلد ، لكنه تمسك به وقال :

- « جلبت لك هدية أيتها القذرة .. جلبتها معى طيلة الطريق من (سانت لويس) لهنا .. إليك ! »

وغرس كرة الربسوس فى طرف الممص .. ذات مرة رأى أولادًا يسدون بالصلصال شاكمان سيارة صديق لهم فكادت السيارة تنفجر .. لقد فعل الشىء ذاته ..

حاول الشىء التملص لكن (سام) تمسك بقوة .. ووجد لرعبه أن الشىء ينتفخ وينتفخ .. كرة شاطئ مكسوة بالشعر ..

عرف (سام) ما سيحدث وغطى وجهه ..

كميات هائلة من اللحم انفجرت فى كل صوب وغطى الدم ذراعى (سام) وصدره . صرخ من النشوة والتقزز .. بينما عادت أضواء الطوارئ تنير المكان .

وفى الخارج سكنت العاصفة وراح مطر هادئ ينساب على السقف ..

نهض على ساقين لا تقويان على شىء وزحف إلى حيث كانت (ناعومى) تجلس جوار (ديف) .. لاحظ أن مطفأة الحريق معلقة فى مكانها كما كانت وإن كان مقبضها مرسومًا بوضوح على خد (ديف) ..

قال (ديف) بصوت مبحوح :

- « لم يكن هذا سيئًا .. »

فهتفت الفتاة وهى تنهض :

- « سأطلب الإسعاف .. »

لكن (ديف) اعتصر يدها ليوقفها وقال :

- « ليس بعد .. هناك أشياء يجب أن أخبرك بها يا فتى .. تعال هنا بقربي »

وقرب فمه من أذن (سام) وهمس :

- « إنها تنتظر .. تذكر .. هى تنتظر .. »

ـ « ماذا ؟ »

لكن (ديف) لم يرد .. ظل ينظر نحو (سام) .. عبر (سام) .. وهتفت الفتاة فى ذعر أنها ستطلب الإسعاف حالاً، لكنها نظرت لوجه (ديف) فرأت أن إحدى حدقتيه قد ضاقت حتى صارت كرأس دبوس والأخرى اتسعت عن آخرها ..

بدأت تبكى .. وضعت يده على خدها وأغمضت عينه .. ركع (سام) متألمًا جوارها وطوق خصرها ..

* * *

الفصل الخامس عشر

شارع الزاوية

١

لم ينم (سام) ليلتها ولا الليلة التالية لها .. رقد فى الفراش وكل الأنوار مضاءة .. وراح يتذكر كلمات (ديف) : « إنها تنتظر » ..

وبدأ يعتقد أنه يفهم ما أراد العجوز قوله ..

٢

كانت الجنازة هادئة .. وفى (شارع الزاوية) حيث حفل التأبين، تناثر أصدقاء (ديف) يأكلون ويتكلمون عنه ويضحكون .. من الواضح أنهم كانوا يحبونه برغم كل شىء .. بينهم مشى (سام) ويداه فى جيبه .. كان يعتصر قطعة من حلوى الربسوس ويكورها ..

لقد فر (سام) و(ناعومى) من المكتبة وأجرى اتصالاً بالشرطة .. ووضع السماعة قبل أن يسألوه من

يكون .. وجد البوليس جثة (ديف) فى المكتبة لكن كل علامات العنف قد زالت .. وهكذا افترض الجميع أنه مجرد حادث .. حادث سقوط يمكن أن يحدث لأى سكير .. لابد أنه دار حول المكتبة فوجد بابها مفتوحًا .. مشى فى الظلام فاصطدم بمطفأة الحريق .. نهاية القصة .. صحيح أن الطب الشرعى لم يجد نقطة كحول فى دم الرجل لكن هذا لم يغير شيئًا .. الناس تفترض أن السكير يجب أن يموت كسكير ..

لم تكن (سارة) ضمن الموجودين .. أخبرت الناس أنها ستكون فى المكان الذى يعرفه (سام) .. خطر له أنها قد تكون فى المكتبة لكنه استبعد هذا ..

لا .. ستكون على الأرجح فى الحديقة التى رآها فيها عندما كانت تحضر اجتماع AA ..

وجدها هناك تقف وحيدة فمشى نحوها .. كانت غاية فى الشحوب وقالت له :

ـ « هذا شنيع يا (سام) .. لم أعد أستطيع النوم ولا الأكل .. ذكريات شنيعة تطاردنى .. والأسوأ هو

رغبتى فى الشراب .. جلسات AA لم تعد تفيدنى للمرة الأولى .. »

قال لها :

ـ « هذا سيسعدها .. أنت تعرفين أنها تنتظر .. ولابد أن تأكل .. انظرى لهذا »

ثم فتح يده فى وجهها فأجفلت .. نظرت لمحتوى يده فرأت كرة الربسوس الحمراء .. قالت فى كراهية :

ـ « تخلص من هذه ! »

وبدت نظرة معدنية فى عينيها ..

عندما أمسك بها شرطى المكتبة بدا كأنه يلصق وجهه بها . ثم أطلق سراحها وسعل .. كيف كانت (أرديليا) تنتقل من شخص لآخر ؟ عندما أحاط (سام) خصرها بيده فى المكتبة بدا متخشبًا غريب الملمس .. إنها تنتظر .. (ديف) كان يعرف أكثر ..

قال لها (سام) :

ـ « أنا أحبك يا سارة .. أوجه كلامى لك لا لها .. »

قالت وهى تتحسس شعرها فى وهن :

ـ « نعم .. أعرف أنك تحبنى . لكن ربما كان من الأفضل أن تتعلم ألا تفعل .. »

ـ « هل حقًا تريدين أن أرحل ؟ »

هنا انفجرت باكية :

ـ « (سام) .. أرجوك .. لا أعرف ما حل بى .. ساعدنى .. أنا خائفة ! »

ثم فجأة تكورت شفتها العليا لتتحول لشىء شبيه بالممص .. وقالت :

ـ « اذهب للجحيم يا (سام بييلز) .. اذهب للجحيم !! »

أمسك بكتفها وقال :

ـ « لو نظرت للوراء لرأيت قطار البضاعة الذاهب إلى أوماها .. سوف يمر أمامك .. أريد أن تنظرى له بثبات .. »

قالت باكية :

ـ « ليكن يا (سام) .. بوسعك أن تدفعنى تحته وسوف يعتقد الناس أننى انتحرت .. كل الناس رأوا أننى لم أعد على ما يرام .. سوف يصدقون كل شىء .. » :

ـ « لا أكلمك عن الانتحار يا حمقاء .. فقط أريد أن تنظرى للقطار وتثقى بى .. »

استدارت بينما القطار يمر من بعيد قادمًا نحوها .. فرفع الشعر عن مؤخرة عنقها .. ورأى ذلك الشىء هناك وسط لحم عنقها .. كان يعرف أن جذع المخ يبدأ تحت ذلك الموضع فتقلصت معدته .. ذلك الشىء الذى يشبه الجيلى والمغطى بنسيج العنكبوت ، والذى ينبض مع نبضات قلبها ..

ـ « هل ترين أرقام العربات يا (سارة) ؟ »

ـ « نعم »

ـ « اقرئيها بصوت عال »

ومد يده يصنع عجينة من الريسوس الذى كان فى جيبه ثم أخرجها ، وألصقها بذلك الورم المخيف فى مؤخرة عنقها ..

ـ « خمسة .. ستة .. سبعة .. »

ومن جديد مد يده وراح ينتزع العجينة التى التصقت بالسم .. سم (أرديليا) ..خرج الشىء ملتصقًا بالعجينة ، وفى مؤخرة عنق (سارة) رأى ثلاثة ثقوب لا تزيد على حجم رأس دبوس .. لقد ولى ! لكن ليس بعد .. كرة الريسوس تتلوى فى يده وهناك فقاعة تحاول الخروج منها ..

اتجه لقضيب القطار وألصق العجينة .. وابتعد وهو يهمس :

ـ « وداعًا أرديليا ! »

وفى اللحظة التالية اندفعت فوق العجينة الملتصقة بالقضيب أطنان الحديد التى تشكل قطار الساعة ٢٠ : ٢ إلى أوماها ..

التصقت به (سارة) وقد صارت مزيجًا من الرضا والارتياح بينما القطار يبتعد وشعرها يطير فى اتجاهه .. هل تحررت حقًا يا (سام) ؟

ـ نعم تحررت .. لقد دفعت ـ غرامتك !

ـ « هلا عدنا للداخل حتى لا يقلق أصدقاؤك ؟ »

ـ « يمكن أن يكونوا أصدقاءك يا (سام) لو أردت هذا .. »

مد يده لها وعادا إلى الداخل .. ذراعًا فى ذراع .

ستيفن كينج

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

شرطى المكتبة

58

مرحباً بك فى مكتبة مدينة (جانكشان) ... سوف نحسن استقبالك ونستخرج لك بطاقة استعارة ، ونجد لك ذلك الكتاب الذى أضناك البحث عنه بالذات .. لكن تذكر من فضلك : لابد من إرجاعه خلال أسبوع .. لا أعذار ولا مجاملات .. فإذا لم يعد الكتاب المستعار فى الوقت المحدد ، فإن لنا طرقاً غريبة بعض الشىء فى التعامل معك .. طرقاً لن تحبها أبداً ..!

الرواية القادمة أسطورة سليبى هولو

الثمن فى مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

